مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة

د. نبيل فاروق

كوكتيل ٢٠٠٠

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

47

ذاكرة الغد

عدد خاص

- مـع القـــرن الحـادى والعشرين ..
- مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب .
- مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..
- مـع كل هذا جاءت كوكتيل 2000 ، بمثابة باب إلى المعرفة ..
- *إلى الحضارة ..*
- *إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم ..*

د. نبيل فاروق

ذاكـرة الغد

(روايـــة)

د. نبيل فاروق

1- رؤيــا ....

كل شيء كان يسير كالمعتاد ....

السيارات تنطلق بسرعة صـاروخية ، عبـر طرقات واسعة طويلة ...

المارة كلهم يسيرون داخـل تلك الأنابيب الكبيرة الشفافة ، مكيفة الهواء .... الأطفال يلعبون فى حدائق واسعة مغطاة بقبة زجاجية كبيرة ، تقيهم تلوُّث الهواء ، ولا تمنع عنهم أشعة الشمس الدافئة ، التى يخفِّف من شدتها لون الزجاج نصف الداكن ، وتلك المادة فى تركيبه ، والتى تمتص الأشعة فوق البنفسجية ، وتمنع مرورها ، وتعكس فى الوقت ذاته الأشعة دون الحمراء ...

البيوت متراصة على نحو جمالى متناسق ، ولا يزيد ارتفاع كل منها عن خمسة طوابق على الأكثر...

وفى هدوء ، وقف هو يتطلَّع إلى كل هذا ، وهو يرتدى رباطى عنقه ، اللذين يتميزان بلونيهما المعكوسين ، كومضة زمنـه ، و....

وفجأة ، ظهرت تلك السيارة الصاروخية من بعيد ....

كانت تتجاوز كل ما أمامها من سيارات فى سرعة جنونية ، غير مألوفة فى هذا الزمن ، وصفارات التحذير والإنذار تنطلق من كل خط مرورى تعبره ، دون أية استجابة من ناحيتها ....

لم يكن هذا مألوفًا فى عصره ، ولكن ذلك الشعور الذى راوده ، لم يكن يرتبط بأية عصور ....

لقد تفجَّر فى أعماقه لمرآها شعور عجيب ...

شعور بالخوف ....

والفــزع ....

والانزعاج ....

شعور جعله يريد أن يركض ....

ويركض ...

ويركض ...

ولكن ساقيه لم تسمحا له بهذا ...

كانتا ثقيلتين ...

جامدتين ...

باردتين ....

ولقد غيرَّت تلك السيارة مسارها ؛ لتنطلق نحوه مباشرة ...

واتسعت عيناه عن آخرهما ...

وبلغ فزعه مبلغه ...

وأراد أن يصرخ ....

ويصرخ ...

ويصرخ ...

ولكن تلك السيارة زادت من سرعتها ، وانقضت عليه مباشرة ، و ...

انتفض (حاتم) انتفاضـــة قوية ، وهبَّ جالسًا على طرف فراشة ، وهو يلهث فى شدة ، وشلال من العرق البارد يسيل على وجهــه ، وتثاءبت زوجته (لميس) ، وهى تنهض بدورها ، متسائلة ، فى لهجة من اعتادت الأمر :

ــ أهو ذلك الكابوس مرة أخرى ؟!...

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يلتقط كوب ماء من جواره ، فى محاولة لتهدئة لهاثه العنيف ، واعتدلت هى تمسح وجهها فى إرهاق ، وهى تقول فى صوت ، لم يفارقه نعاسه بعد :

ــ وأيضًا فى ذلك العالم العجيب .

هزَّ رأسه ، وهو ينهض من الفراش ، قائلاً :

ــ ليس عالمًا عجيبًا ... إنه المستقبل .

التفتت إليه فى بطء ، وهى تسأله فى مزيج مدهش ، من الصرامة والاستنكار :

ــ أى مستقبل ؟!..

أجاب فى بساطة ، وكأنه يقرَ حقيقة واقعة :

ــ مستقبلنا .

هزَّت رأسها فى استنكار ساخر ، وهى تكرر إجابته :

ــ مستقبلنا !!

ثم حمل صوتها صرامة شبه غاضبة ، وهى تضيف مستنكرة :

ــ هل تتصور أن (مصر) ، وحتى بعد ألف عام ، يمكن أن تصبح على تلك الصورة ، التى تراها فى كابوسك ... جميلة ... نظيفة ... منظمة ؟!

سألها ، وهو يجلس على مقعد مجاور للنافذة :

ــ ولِمَ لا ؟!..

كررت إجابته مرة أخرى ، ولكن فى لهجة شديدة الاستنكار ، وبصوت مرتفع غاضب :

ــ لِمَ لا ؟!... ألا ترى ما يدور حولك ، أم أنك تقيم فى عالم آخر ؟!... ألا تمر بأناس مكتئبين ، وتعانى من فوضى مرورية ، ومن الفساد ، الذى صار سمة من سمات البلد ، والمحسوبية ؟ التى صارت السبيل الوحيد ؛ للحصول علىَ ما يفترض أنه حق لكل مواطن ؟!..

رفع كفه يدعوها للكف عن حديثها ، وقال ، وقد تملك نفسه إلى حد ما :

ــ لا داعى لتكرار هذه الأسطوانة يوميًا .

قالت فى حدة :

ــ لو أنك مللت سماعها ، فقد مللت أنا ترديدها أكثر .

زفر فى توتر ، واتجه نحو دولابه ، وأخرج ملابسه ، وهى تتابعه بعينيها فى عصبية ، قبل أن تقول ، فى لهجة لم تفارقها حدتها بعد :

ــ الساعة لا تزال الخامسة والنصف صباحًا .

أجابها ، محاولاً السيطرة على أعصابه :

ــ سأقوم بالتمشية قليلاً ، قبل الذهاب إلى العمل .

قالت فى سخرية محتدة :

ــ التمشية ؟!... أين ؟!... فى الشوارع التى أغرقتها مياه أمطار الأمس ؟ ، أم على الأرصفة ، التى يندر أن تجد بها نصف متر خاليًّا ، أو سليمًا ؟!..

التفت إليها بنظــرة صامتة ، وراح يرتدى ثيابه ، متحاشيًا الدخول معها فى منازلة كلامية ، إلا أنها لم تصمت ، وإنما قالت فى توتر :

ــ مازلت أنصحك باستشارة خبير نفسى .

قالت ، وقد عاودتها حدتها :

ــ هذا لو أنها كوابيس ، ولكنه مجرد كابوس واحد ، يتكرر طوال الوقت ، وربما يعبِّر عن شىء ما فى أعماقك .

راح يرتدى ثيابه فى سرعة ، مغمغمًا :

ـ سأفكر فى الأمر .

واصلت ، وكأنها لم تسمعه :

ـ شقيقتى (ماهيتاب) أعطتنى رقم تليفـون عيادة طبيب نفسى معروف ... حاول الاتصال به .... ربما .

أومأ برأسه فى آلية ، ومد يده يلتقط الورقة من يدها ، ويدسها فى جيبه ، وهو يقول :

ـ ولكنه كابوس يبدو شديد الوضوح ، وكأننى عشته من قبل بالفعل .

أطلقت ضحكة عصبية قصيرة ، وقالت :

ـ ألم تنتبه إلى ذلك التناقض فى حديثك ؟!.... تقول : إنك تسقط فى كابوس مستقبلى ، ثم تشير إلى أنك قد عشته من قبل !!!...

ثم نهضت من الفراش ، مضيفة :

ـ لا أحد يعيش المستقبل ؛ لأنه ببساطة ، لم يحدث بعد .

قال فى لهجة تشف عن حيرته الطبيعية :

ـ لماذا إذن يبدو كل شىء واضحًا ، كما أنه ذكرى قديمة ؟

هتفت مستنكرة :

ـ ذكرى ؟!... من الغد ؟!... ألم تر كيف يزداد تناقصك مع الوقت .... الذكريات تأتى مما عشناه ، وليس مما لم نعايشه بعد .

انعقد حاجباه ، وهو يقول فى ضيق :

ـ كان مجرَّد مصطلح ؛ لتوضيح ما أعنيه .

قالت ، وهى تسير فى خطوات عصبية نحو الحمام :

ـ مصطلح جانبه الصواب .

زفر مرة أخرى ، وغمغم ، وهو يتجه نحو الباب :

ـ أنت على حق .

غادر المنزل ، هاربًا من ذلك الجدل الصباحى ، ووقف أمام الباب لحظات فى حيرة ....

أين يمكن أن يذهب ، فى هذه الساعة المبكِّرة ؟!..... ضوء النهار بالكاد يتسلل إلى الطرقات ، وعمله يبدأ فى التاسعة ، وعقارب الساعة لم تعلن السادسة بعد !!....

وقف لحظات متوترًا ، ثم ألقى نظرة على ساعة يده ، وكأنما يتمنى أن تسرع عقاربها فى سيرها ، ثم غمغم :

ـ لا بأس من تمشية صباحية بالفعل .

هبط فى درجات السلم ، وتوقَّف لالتقاط صحيفة اليوم ، التى اعتاد عم (محمد) تركها بعد صلاة الفجر ، وألقى نظرة سريعة على عناوينها الرئيسية ، وهو يواصل الهبوط فى درجات السلم ، ومرَّ بنظرة عابرة على التاريخ فى أعلى الصفحة الأولى ....

تاريخ الثالث من ديسمبر ....

قرأ رقم العام ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ....

لماذا يبدو له هذا التاريخ مألوفًا ؟!...

لماذا ؟!...

عاد يقرأ التاريخ كله ، ثم طوى الصحيفة ، ووضعها تحت أبطه ، وهو يغادر المنزل إلى سيارته الصغيرة ....

ما الذى يعنيه الثالث من ديسمبر ؟!....

أو ما الذى يمكن أن يعنيه ؟!...

أى شىء سيحدث اليوم ؟!...

مضى فى تساؤلاته لحظات ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه فى قوة ، وقال لنفسه فى حدة :

ـ يبدو أنك تحتاج بالفعل إلى طبيب نفسى ..

هزَّ رأسه مرة أخرى ، واستقل سيارته ؛ ليقودها إلى تلك الحديقة الكبيرة ، المجاورة لمقر عمله ، وأدار الراديو ، وراح يستمع إلى بعض الموسيقى الهادئة ، و ....

وفجأة قطع المذيع الإرسال ، ليذيع خبرًا عاجلاً ....

واتسعت عينا (حاتم) فى ذهول ، وهو يسمع الخبر ....

لقد كان الثالث من ديسمبر يعنى شيئًا بالفعل ....

وليته ما عناه ...

ليتـــه ..

* * *

« لماذا عدت بهذه السرعة ؟!... »

هتفت زوجة (حاتم) بالعبارة فى دهشة ، عندما فوجئت به يعود إلى المنزل ، بعد أقل من نصف الساعة من خروجه ، وأدهشتها أكثر علامات الانفعال الشديد على وجهه ، وذلك اللهاث العنيف ، الذى يكاد يلتهم أنفاسه ، والارتجافة العجيبة ، التى شملت جسده كله ، فاستطردت فى فزع ، وهى تحدق فى وجهه الممتقع :

ـ هل أصابك حادث ما ؟!..

ألقى جسده على مقعد قريب ، وراح يلَّوح بذراعيه لحظات ، قبل أن يجيب بأنفاس لاهثة مبهورة :

ـ لقد رأيتها ... رأيت ذلك الحادث من قبل .

ارتجف قلبها بين ضلوعها ، وهى تضرب صدرها بكفها ، هاتفة :

ـ الحادث ؟!... أى حادث ؟ .

عاد يلَّوح بذراعيه لحظات ، قبل أن يهتف :

ـ حادث القطار ..

لم تفهم الكلمة ، فرددت فى دهشة ، تمتزج بالحيرة :

ـ أى قطار ؟!... منزلنا بعيد للغاية عن محطة القطارات .

هتف بنفس الأنفاس اللاهثة :

ـ قطار الصعيد ... لقد انفجرت قاطرته ، فخرج عن القضبان ، وانقلب ، واحترق بالكامل ... الضحايا بالمئات .

ثم أخفى وجهه بين كفيه ، وبدا وكأنه يبكى ، وهو يضيف :

ـ مئات النساء والأطفال .

لطمت صدرها مرة أخرى ، وامتقع وجهها ، وهى تقول فى لوعة مذعورة :

ـ يا إلهى !... وكيف هذا ؟!

بدا لحظات وكأنه ينتحب ، ثم رفع رأسه فجأة ، وهو يقول فى انفعال :

ـ لقد رأيته .

تراجعت بحركة حادة ، متسائلة :

ـ رأيت ماذا ؟!...

عاد يلَّوح بذراعيه فى انفعال عجيب ، وهو يجيب :

ـ ذلك القطار ... رأيت الحادث قبل ان يقع ... إننى أعرف حتى كيف وأين وقع ..

حدَّقت فيه بدهشة متوترة ، ورأت عينيه تتسعان ، وهو يكمل ، وعيناه تحدقان فى الفراغ ، وصوته يكتسب رنة فزع :

ـ رأيت حتى ما لم تذكره وسائل الإعلام

تراجعت مواصلة التحديق فيه ، وهى تسأله فى توتر شديد :

ـ (حاتم) ... أأنت بخير ..؟

لم يبد حتى أنه قد سمعها ، وهو يتابع كالمأخوذ :

ـ أعرف عدد الضحايا ... والتعويضات التى سيحصل عليها ذووهم ... بل اننى أعرف ... أعرف ..

ردد الكلمة الأخيرة عدة مرات ، قبل أن تتسع عيناه عن آخرهما ، على نحو عجيب ، ويشملهما ذعر شديد ، ثم يلتفت إليها ، مكملاً فى خفوت ملوّه الانفعال :

ـ أعرف سبب الحادث .

قالت فى حذر قلق :

ـ قلت ... إن القاطرة قد انفجرت .

هتف فجأة ، وهو يرفع سبَّابته امام وجهه :

ـ ليس تلقائيًا .

تراجعت فى حدة مذعورة ، واتسعت عيناها فى ذعر ، وهى تحدِّق فيه ، قبل أن تسرع إلى الهاتف ، قائلة بكل توتر الدنيا :

ـ سأستدعى طبيبك .

اندفع نحوها ، وأمسك معصمها ، قبل أن ترفع سمَّاعة الهاتف ، وقال فى لهجة عجيبة ، وكأنه قد أصيب بجنون فعلى :

ـ ليس الطبيب .

حاولت أن تفلت معصمها فى ذعر ، وهى تهتف به :

ـ حاتم .

مال نحوها ، يقول فى صرامة أخافتها :

ـ بل الشرطة .

انتفض جسدها فى ذعر ، وهى تردد :

ـ الشرطة ؟!

بدت عيناه عجيبتين ، وهو يقول ، وقد عاد يحدِّق فى الفراغ .

ـ بالتأكيد ... فما حدث لقطار الصعيد ليس مجرَّد حادث قدرى .

وانتفض جسدها مرة اخرى ، وهو يضيف بصوت عجيب :

ـ إنها جريمة مدبَّرة ... جريمة قتل .

عاد جسدها ينتفض ...

وينتفض ...

وينتفض ...

* * *

انعقد حاجبا ضابط الشرطة فى شىء من الغضب ، وهو يميل بكيانه كله نحو (حاتم) ، قائلاً فى حدة:

ــ رأيت ماذا يا أستاذ ؟!..

أجابه (حاتم) فى انفعال :

ــ رأيت الحادث كله ... لقد زرعوا قنبلة أسفل المقطورة ، عند مؤخرتها بالتحديد ، وأخرى أسفل القضبان ، على مسافة ستة كيلو مترات من مدينة (قنا) ، وتم تفجير القنبلتين بوساطة جهاز تحكُّم عن بعد ، وكل هذا لأن ...

قاطعه الضابط بصرخة غاضبة :

ــ هل فررت من مستشفى للمجاذيب أم ماذا ؟!...

تراجع (حاتم) كالمصدوم ، وهو يردد فى ذهول :

ــ مستشفى ماذا ؟!...

التفت الضابط الغاضب إلى امين الشرطة ، وهتف به :

ــ احتجز هذا المختل ، حتى نتحرى أمره .

تراجع (حاتم) فى صدمة أعنف ، وهــو يهتف فى غضب ذاهل :

ــ يحتجزنى ؟!... وبأية تهمة ؟!... لقد أتيت لأبلغكم بما حدث !... أهكذا تتعاملون مع المواطنين ؟!..

صاح فيه الضابط فى حدة :

ــ تبلغنا بماذا أيها المختل ؟!... لقد صدر بيان رسمى بشأن الحادث ، منذ عدة دقائق ... إنه خطأ السائق ، الذى لقى نحبه فى الحادث ... زاد من السرعة ، و ....

قاطعه (حاتم) ، وجسده كله ينتفض انفعالاً :

ــ أنت كاذب .

توتر الموقف كله ، فور نطقه العبارة ، واتسعت العيون كلها ، غير مصدِّقة أن مواطنًا عاديًا يجــرؤ على الهتــاف بها ، فى وجه ضابط شرطة ، فى بلد يسيطر فيه الفكر الأمنى على حرية المواطن وحقوق الإنسان نفسها ، وانعقد حاجبا الضابط المصدوم

فى غضب شرس ، وتحــرَّك المخبرون وأمنـــاء الشرطة نحو (حاتم) ، وعيونهم مع قبضاتهم المضمومة تحمل نية التنكيل به ، فتراجع هو فى عصبية ، هاتفًا :

ـ ليس هذا ما حدث .

صرخ فيه الضابط الغاضب ، وهو يندفع نحوه ، ملوِّحًا بقبضته :

ـ إنه بيان الحكومة الرسمى ... هل تجرؤ على تكذيب بيان رسمى ، أيها الـ ....

« كفى ... » ...

انطلق الأمر فجأة بمنتهى الصرامة ، من ناحية السلم ، فتوقف الكل دفعة واحدة ، وكأنما ارتطم الأمر برءوسهم مباشرة ، وتراجع المخبرون وامناء الشرطة ، وبدا عليهم كلهم اضطراب واضح ، فى حين خفض الضابط قبضته ، وبدا أشبه بتلميذ مشاغب ، ضبطه مدير المدرسة متلبسًا ، وقال فى اضطراب ، لم تفارقه عصبية بعد :

ـ إنه يسخر من بيان الحكومة يا (رشدى) بك .

التفت (حاتم) فى دهشة وتوتر ، إلى شخص وقور ، قوى البنية والملامح والنظرات ، وخط فوقه الشيب ، على الرغم من أن ملامحه توحى بأنه بالكاد فى منتصف الثلاثينات من عمره ، يهبط فى الدرجات الأخيرة من سلم الطابق الثانى ، وهو يقول فى صرامة غاضبة :

ـ أهذه جريمة ؟!..

اضطرب الضابط أكثر ، وهو يقول مكررًا فى خفوت :

ـ لقد سخر من بيان الحكومة .

وصمت لحظة ، ثم اندفع قائلاً فى غضب :

ـ ونعتنى بالكذب .

شد الوقور قامته ، وهو يقول فى صرامة أكثر :

ـ هذه أيضًا ليست جريمة .

احتقن وجه الضابط فى غضب ، والتفت بنظرة حادة إلى (حاتم) ، وكأنه يلومه على ما يحدث ، ولكن (حاتم) لم ينتبه على هذا ، وهو يسأل الوقور فى دهشة مبهورة :

ـ من أنت ؟!..

هتف الضابط فى حدة :

ــ أرأيت يا (رشدى) بك !

التفت إليه (رشدى) هذا بنظرة قاسية ، وهو يقول فى بطء ، فى لهجة أشبه بلهجة من يلقن غيره درسًا :

ــ أنت إذن تفترض أننـــا لا ينبغى للكـــل أن يعرفنا ، ومن العار أن يسألنا أى مواطن عن هوياتنا ومن نكون !..

ارتبك الضابط ، وهو يقول :

ــ ليس هذا يا (رشدى) بك ، ولكن ...

قاطعه (رشدى) ، وهو يلتفت إلى (حاتم) ويمد يده إليه ، قائلاً فى هدوء ، يحمل نبرة مودة واضحة :

ــ المقدَّم (رشدى عبد الهادى) .... أمن الدولة .

وعلى الرغم من أن العبـــارة تمثل لدى الغالبية العظمى من الشعب ، كل الخوف والقهر ، فقـــد شعر (حاتم) بارتياح لم يفهمه ، وهو يمد يده إليه بدوره ، قائلاً :

ــ (حاتم مبارك) ... مهندس و ...

امتقـــع وجـــه ضـــابط الشرطة ، وتراجع المخبرون وأمنـــاء الشرطة فى ذعر ، فى حين هتف الضابط فى صوت مختنق :

ــ (حاتم) من ؟!..

أشار (حاتم) بيده ، قائلاً :

ــ لست امت إليه بأية صلة ... إنه تشابه أسماء فحسب .

تنفس الجميع الصعداء على نحو ملحوظ ، فرمقهم (رشدى) بنظرة استياء ، ثم التفت إلى (حاتم) مبتسمًا ، وهو يقول :

ــ لو أنك تمت إليه ، ولو حتى بصلة قديمة ، لغسلوا قدميك بماء الورد ، قبل أن يرسلوا موكباً لحراستك ، حتى باب منزلك .

هزَّ (حاتم) كتفيه ، دون ان يجيب ، وابتسم ابتسامة شاحبة ، فمال المقدَّم (رشدى) نحوه ، وقال فى صوت خافت :

ــ لقد كنت أعلم أنك ستأتى .

وانتفض جسد (حاتم) فى عنف ...

فقد كانت مفاجأة ...

حقيقيـــة ...

*

2- جنـــون ...

لهثت زوجة (حاتم) على نحو ملحوظ ، وبدت زائغة العينين ، أشبه بمن عانى صدمة عنيفة ، وهى تقــول لأمها ، التى تحدِّق فيها مذعورة :

إنه مجنون ... أنا واثقة من هذا .

حاولت أمها تهدئتها ، وهى تربِّت عليها بيد مرتجفة ، قائلة :

ـ تمالكى أعصابك ، وارْوى لى ما حدث .

لوَّحت الزوجة بيديها ، فى عصبية بالغة ، وهى تجيب :

ـ يزعم أنه يستطيع معرفة ما سيحدث .... وفى كل مرة يسمع فيها خبرًا ما ، يؤكِّد أنه كان يعرفه من قبل .

اتسعت عينا أمها ، وهى تغمغم فى صوت مبحوح :

ـ حقًّا ؟!..

هزَّت الزوجة رأسها فى قوة ، قائلة :

ـ كنت أحتمله فى البداية ، متصوِّرة أنه توتر عصبى ، من إجهاد العمل ، فقد مروا فى شركته بفترة عصيبة ، إثر الأزمة الاقتصادية الماضية ، ورأيت أنه من واجبى كزوجة أن أحتمله ، حتى تمر الأزمة ، وينصلح الأمر ، إلا أنه تمادى ، إلى حد أعجز عن احتماله .

سألتها أمها فى جزع :

ـ هل أساء إليك ؟!..

هتفت فى عصبية :

ـ ليس بدنيًا ، ولكن ...

لم تتم عبارتها ...

بل ولم تحاول حتى هذا ...

لقد عادت تهز رأسها فى قوة ، وكأنها تحاول أن تنفض عنه الأمر كله ، ثم نهضت بحركة حادة ، أفزعت أمها ، وراحت تدور فى المكان ، فى عصبية بالغة ، قائلة :

ـ مع حادث القطار هــذا الصباح ، تحوَّلت حالته إلى جنون حقيقى ... إنه يصر على أنه ليس مجرَّد حادث ، بل جريمة قتل .

شهقت أمها ، هاتفة فى ذعر :

ـ قتل ... يا ستّار .

أكملت الزوجة ، وكأنها لم تسمعها :

ـ بل جريمة اغتيال سياسى .

أطلقت الأم شهقة أكبر ، ونهضت من مقعدها ، تضرب صدرها براحتها ، هاتفة :

ـ الرحمة يا إلهى !..

التفتت إليها الزوجة ، وهى تكمل فى عصبية :

ـ على الرغـم مــن البيــان الحكومى الرسمى ، يؤكّد فى هستيريا أنها جريمة اغتيال مدبَّرة ؛ لافتعال حادث قطار ، يودى بحياة زعيم سياسى معارض ، قبيل الانتخابات الرياسية القادمة .

ارتجف جسد الأم ، من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ، وهى تقول :

ـ لقد جنّ .... من المؤكد أنه جنّ .

مالت الزوجة نحوها ، وبدت عيناها زائغتين ، وهى تقول :

ـ ولم يكتف هذه المرة بهستيريته .

بدا صوت أمها منفعلاً مبحوحًا ، وهى تقول :

ـ ماذا فعل أيضًا ؟!..

اتسعت عينا الزوجة ، وهى تجيب ، وكل حرف من كلماتها يرتجف على شفتيها :

ـ ذهب لإبلاغ الشرطة .

انتفض جسد الأم فى عنف ، من ذهول الصدمة ، ونافست عيناها عينى ابنتها فى اتساعهما ، وكل منهما تحدّق فى وجه الأخرى ذاهلة ، قبل أن ينتفض جسد الأم مرة أخرى ، هاتفة بكل الانفعال :

ـ الطلاق ... ليس هناك من حل سوى الطلاق .

تراجعت الزوجة فى بطء ، وبدا على ملامحها أن ذلك الحل لم يدر بخلدها قط ، على الرغم من كل ما حدث ، ورددت فى بطء مذعور مستنكر :

ـ الطلاق ؟!

هتفت أمها :

ـ لا يوجد حل سوى هذا ... جنونه ليس من النوع الشخصى ، الذى يمكن احتماله ، أو حتى السعى لعلاجه ...إنه جنون شديد الخطورة ، سيورطه ، وربما يورطك معه ، فى مشاكل سياسية وأمنية ، نحن فى غنى عنها .

على الرغم من تحديق ابنتها فيها ، بعينين شديدتى الاتساع ، بدا وكأنها لم تسمع حرفًا واحدًا من عباراتها الاخيرة ، وهى تردَّد فى خفوت :

ـ الطلاق ؟!

سألتها أمها فى عصبية :

ـ ألديك حل آخر ؟!

مرة أخرى ، حدَّقت فيها الزوجة ، بعينين زائغتين ذاهلتين ، ولم تنطق بحرف واحد ...

أى حرف ...

على الإطلاق ....

* * *

« خبرتى علمتنى أن الصمت نوع من الاعتراف ... »

حدَّق (حاتم) فى ضابط أمن الدولة أمامه فى حيرة ، وأدهشته ابتسامته الهادئة الواثقة ، التى لا تتفق مع عبارته ، فسأله فى شىء من الحذر :

ـ اعتراف بماذا ؟!..

مال الرجل نحوه ، وقال ، دون أن يتخلى عن ابتسامته :

ـ كنت تعرف ما حدث .... أليس كذلك ؟!...

تطلَّع إليه (حاتم) لحظات فى دهشة ، قبل أن يهزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ (رشدى) بك ...

قاطعه الرجل وقد اكتسب صوته لمحة من الصرامة :

ـ كنت تعرف الحقيقة ، وليس ما أعلنه البيان الرسمى .

سرت قشعريرة باردة فى جسد (حاتم) ، وهو يحدِّق فيه ، مغمغمًا فى انفعال واضح :

ـ الحقيقة !!.... تقول الحقيقة !... إذن فلم يكن حادثًا .

تراجع (رشدى) فى بطء ، دون أن يرفع عينيه عنه ، ولاذ بالصمت بضع لحظات ، فيما بدا وكأنه يتفحَّصه فى اهتمام ، قبل أن يسأله :

— إنه أمر يتعلَّق بأمن الدولة ، فكيف أمكنك معرفته ؟!..

لم يبد أن (حاتم) قد استوعب السؤال ، أو حتى سمعه ، وهو يسأله بدوره فى انفعال :

— كان اغتيالاً سياسيًّا .... أليس كذلك ؟!

صمت (رشدى) لحظات ، وهو يتطلَّع إليه ، ثم لم يلبث ان هزًّ كتفيه ، وأجاب فى بطء :

— ربما هذا ما تطلقونه عليه .

ثم مال نحوه بحركة مباغتة ، وبدا صارمًا قاسيًا ، وهو يضيف :

— أما نحن ، فنطلق عليه اسم (العمل الإرهابى) .

تراجع (حاتم) بحركة حادة ، واتسعت عيناه فى دهشة مستنكرة ، وهو يقول :

— عمل إرهابى ؟!.... نحن ؟!... أين ذهب تفكيرك بالضبط ؟!

بدا (رشدى) أكثر قساوة ، وهو يقول :

— بل أين ذهب تفكيركم أنتم ، عندما خطّطتم لهذا ؟!

انتفض (حاتم) ، وهو يهتف فى عصبية :

— ماذا تقصد بصيغة الجمع هذه ؟!

لم يجبه الضابط ، وهو يتطلَّع إليه فى صرامة ، فسأله فى حدة :

— ولماذا قلت : إنك كنت تنتظرنى ؟!

صمت الضابط لحظات أخرى ، ثم اعتدل يجيب فى صرامة :

— لم أكن أنتظرك بالتحديد ، ولكننى كنت أنتظر من سيأتى ؛ ليعترف بما فعله الباقون .

هتف (حاتم) فى حدة :

— أى باقين ؟!

صاح (رشدى) فى وجهه ، فى غضب صارم :

— لا تحاول إقناعى بأنك علمت فحسب ... مثل تلك الأمور لا يمكن أن نعلمها فحسب ، إلا لو كنا جزءًا منها .

هتف (حاتم) ، وهو يلَّوح بيده :

ــ ولكن هذا بالفعل ما ....

قاطعه (رشدى) بحركة مباغتة ، قبض بها على معصمه بأصابع من فولاذ ، وهو يميل نحوه بشدة ، قائلاً فى غضب :

ــ هل تفضَّل الأسلوب الأصعب ؟!

حدَّق فيه (حاتم) ، فى مزيج من الدهشة والذعر ، وغمغم فى صوتٍ مبجوح :

ــ تصوَّرت فى أسفل أنك أكثر تحضراً .

قال الضابط فى صرامة :

ــ إننا نتحدَّث عن أمن الدولة ، لا عن علاقة ودية .

هزَّ (حاتم) رأسه ، قائلاً فى عصبية :

ــ ولكنكم ستدركون فيما بعد ، أن هذا الأسلوب يستحيل أن يوصلكم ، إلى الحقائق التى تنشدونها ؛ لأنكم بالعنف ستحصلون على ما تريدون سماعه فحسب .

صرخ (رشدى) ، فى غضب هادر :

ــ لست هنا لتلقى محاضرة ، فى فن الاستجواب ، أنت هنا لتجيب أسئلتى فحسب .

شعر (حاتم) بتوتر شديد يسرى فى كيانه ، وبعصبية تسيطر على مشاعره ، وهو ينكمش فى مقعده ....

لقد كانت زوجته على حق ....

لا أحد سيستمع إليه ....

لا أحـــد ....

لقد كانت تخشى أن يظنّوه مجنونًا ....

وليس أبدًا إرهابيًا .... .

ياليته استمع إليها !!...

إنه يجلس الآن فى مواجهة الوزير ، الذى ...

تجمَّد ذهنه كله دفعة واحدة ، وحدَّق فى وجه ذلك الضابط ، واتسعت عيناه عن آخرهما ....

الوزير ... نعم ... لقد أدرك الآن فقط لماذا شعر بالمودة ، مع أوَّل لقاء بينهما ؟!..

ولكنه لا يستطيع الإفصاح ؛ فلو فعـل ، فإنّه سيبدو للجميع أكثر جنونًا ...

ألف مرة ...

فما أدركه الآن أمرٌ مذهلٌ ...

وبكل المقاييس .

* * *

انهمك ذلك المسئول السياسى فى مراجعة عدة ملفات شديدة الأهمية ، تتعلّق بترشيحات فتـرة الانتخابات القادمة ، وراح يؤشر بقلمه تأشيرات سريعة ، على تلك الورقة ، أو ذلك الملف ، عندما دخل رئيس طاقم أمنه الخاص مكتبه ، وهو يقول :

ـ سيّدى ، هل تسمح لى بمقاطعتك قليلاً .

رفع المسئول عينيه إليه فى عصبية ، وهو يقول :

ـ ألم أخبرك أننى منشغل للغاية ..

بدا رئيس الأمن شديد التوتر ، وهو يقول :

ـ ولكن الأمر هام للغاية .

تطلّع إليه المسئول فى دهشة قلقة ، قبل أن يسأله :

ـ إلى أى درجة من الأهمية ؟!

رفع رئيس طاقم الأمن يده ، إلى أقصى ارتفاع يمكنها بلوغه ، قبل أن يخفض صوته ، مجيبًا :

ـ إنه أمر يتعلّق بحادث القطار .

تفجّر توتر عنيف مباغت ، فى وجه المسئول ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ لقد صدر بيان رسمى ، فى هذا الشأن .

قال رئيس الطاقم بنفس التوتر :

ـ إنه مجرد بيان رسمى .

وضع المسئول قلمه على الأوراق فى توتر ، وهو يسأله :

ـ هل من جديد ؟!..

تقدّم منه رئيس طاقم الأمن ، وهو يحمل ورقـة صغيرة ، مجيبًا :

ـ تطور لم يكن فى الحسبان .

وضع الورقة أمامه ، وتراجع عدة خطوات ، فجذبها المسئول إليه ، وطالعها فى سرعة متوترة ، قبل أن يغمغم فى صوت مختنق ، من فرط التوتر والانفعال :

ـ متى حدث هذا ؟!...

أجابه رجل الأمن ، وهو ينافسه توترًا :

ـ منذ ساعتين تقريبًا ، وهو يجلس مع (رشدى) الآن .

انعقد حاجبا المسئول ، وهو يردِّد متسائلاً فى توتر :

ـ (رشدى) ؟!..

أجابه رجل الأمن فى سرعة :

ـ (رشدى عبد الهادى) ... المقدَّم (رشدى) ، ضابط أمن الدولة ، فى قسم شرطة الـ ....

قاطعه المسئول فى عصبية :

ـ ولماذا انتظر (رشدى) هذا ساعتين كاملتين ، قبل أن يخبرنا بالأمر ؟!..

أجابه رجل الأمن :

ـ إنه لم يخبرنا حتى الآن ..

تراجع المسئول فى مقعـده بحركة حـادة ، هاتفًا فى غضب مستنكر :

ـ لم يخبرنا ؟!..

أسرع رجل الأمن يفسِّر الموقف ، قائلاً :

ـ ضابط القسم هو من أبلغ الأمر ، فالرجل ذهب ليتقدَّم ببلاغ رسمى ، وبدا أشبه بالمجنون ، ثم تدخَّل (رشدى) ، واصطحبه إلى مكتبـه فى الطابق الثـانى ، ولما طال بهما الوقت ، أبلغ الضابط الأمر ، ليخلى مسئوليته .

انعقد حاجبا المسئول فى شدة ، وراح يحدِّق فى الورقة أمامه فى دهشة بالغة ، قبل أن يرفع عينيه إلى رجل الأمن ثانية ، قائلاً :

ـ ومن أين أتى ذلك الرجل بما لديه ؟!..

هز رجل الأمن رأسه ، قائلاً :

ـ لم نعلم بعد .... لقد قال للضابط إنه يعلم فحسب .

عقد المسئول حاجبيه أكثر ، وهو يقول فى حدة :

ــ هراء ...

ثم التقط نفسًا عميقًا ، فى محاولة فاشلة لتهدئة أعصابه ، قبل أن يتابع فى صرامة :

ــ أجر اتصالك بضابط أمن الدولة هذا ، واطلب منه أن يغلق ذلك الملف لديه ، ويحيل الأمر كله إلى ....

لم يكمل عبارته ، وبدا شديد الاستغراق فى التفكير والحيرة ، فتساءل رجل الأمن فى حذر :

ــ إلى من ؟!..

تطلَّع إليه المسئول فى شىء من الحيرة ، وتراجع يحك ذقنه بأصابعه فى عصبية شديدة ، قبل أن يسأل :

ــ مَنْ مِن أمن الدولة يتعاون معنا فى هذا الأمر ؟

تلفَّت رجل الأمن حوله ، وكأنه يخشى أن يسمعه أحد ، قبل أن يميل نحو المسئول ، مجيبًا فى صوت ، أقرب إلى الهمس :

ــ العقيد (هشام) .

تساءل المسئول ، فى اهتمام متوتر :

ــ (هشام حمزه) ؟!..

أومأ رجل الأمن برأسه إيجابًا ، وغمغم :

ــ بالضبط .

التقط المسئول نفسًا آخر أشد عمقًا ، ثم قال فى حزم ، أراد عبثًا أن يخفى به توتره :

ــ اتصل برقمه الخاص .... فورًا

وتحرك رجل الأمن فى سرعة ..

وتوتر ...

وقلق ....

الكثير من القلق ...

* * *

فرك (رشدى عبد الهادى) عينيه فى إرهاق واضح ، وفرد ذراعيه إلى أقصاهما على جانبيه ، قبل أن يعتدل مواجهًا (حاتم) ، الذى بدا أكثر منه ارهاقًا ، وهو يغمغم فى توتر :

ـ هل يمكننى العودة إلى منزلى ؟!..

هزَّ (رشدى) كتفيه ، وقال :

ـ أخبرنى ما أريد معرفته ، وستعود إليه فورًا .

قال (حاتم) فى عصبية :

ـ ليس لدى ما أخبرك به .

سأله (رشدى) فى اهتمام :

ـ وماذا عن واقعة الاغتيال ؟!..

أجابه (حاتم) فى عصبية أكثر :

ـ إنه مجردُّ حادث قطار .

تراجع (رشدى) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ ولكنك قلت إن ...

قاطعه (حاتم) فى حدة :

ـ هوس .... مجردُّ هوس وهلوسة ... لقد أصدرت حكومتكم بيانًا رسميًا ، فمن أنا لأخالفهم ..؟!

تطلَّع إليه (رشدى) لحظات فى صمت ، ثم مال نحوه كثيرًا ، وهو يقول فى بطء :

ـ عجبًا ... ولكن (رمزى الجيـــار ، كان ضمن ركاب القطار بالفعل .

ردد (حاتم) وكأنه يسمع الاسم لأوَّل مرة :

ـ (رمزى الجيار) ؟!

اعتدل (رشدى) ، وهو يقول فى حزم :

ـ لقد سافر دون إعــلان ، على الرغم من أنه اكبر زعيم للمعارضـــة فى (مصر) ، والمنافس الأخطــر للرئيس ، فى الانتخابات القادمة .

ردد (حاتم) فى شرود ، وكأنه يستعيد ذاكرة ما :

ـ (رمزى الجيار) ؟!..

ثم رفع عينيه إلى (رشدى) ، مستطردًا فى هلع :

ـ لقد اغتالوه لهذا السبب .

عاد (رشدى) يميل نحوه فى حركة حادة ، قائلاً فى صرامة :

ــ قلت (اغتالوه) .

هزّ (حاتم) رأسه فى قوة ، وهو يقول فى انفعال :

ــ لقد تذكّرت فجأة أن ...

ثم بتر عبارته دفعة واحدة ، واتسعت عيناه ، وهو يحدّق فى عينى (رشدى) اللتين حملتا التماعة ظافرة ، جعلت (حاتم) يتراجع ، ويطبق شفتيه بشدة ، فابتسم (رشدى) وقال :

ــ أخبرنى بالضبط ما تذكّرته .

صمت (حاتم) بضع لحظات ، وهو يلعن تسرّعه ، الذى جعله ينطق العبارة ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه ، قائلاً فى عصبية :

ــ ليس أمرًا تذكّرته بالفعل ، ولكن ...

انعقد حاجبا (رشدى) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ هل سنعاود ذلك الحديث السخيف عن الرؤى ؟!

زفر (حاتم) فى عصبية ، وهو يقول :

ــ ما الذى تريد سماعه بالضبط ؟!

أجابه (رشدى) فى صرامة :

ــ الحقيقــة .

قال (حاتم) فى حدة :

ــ إنها لا تروق لك .

أجابه (رشدى) فى غضب :

ــ لأنها ليست الحقيقة .

تراجع (حاتم) ، وقلب كفيه فى استسلام ، وهو يقول :

ــ ليس لدى سواها .

بدا الغضب واضحًا ، على وجه (رشدى) وهو يقول :

ــ اسمع يا أستاذ (حاتم) ، على الرغـم من أنك تبغض كل حرف انطق به معك ، فإننى أحـد أهـدأ رجال أمن الدولة ، وأكثرهم صبرًا واحتمالاً ، ولو انتقلت هذه القضية إلى ضابط آخر ، فلن يمكننى أن أضمن لك أى شىء .

ومال نحوه بشدة ، عبر مكتبه ، مضيفًا بكل الحزم والصرامة :

ــ أى شىء على الإطلاق .

امتقع وجه (حاتم) ، وهو يحدّق فيه فى ارتياع ، قبل أن يغمغم :

ــ ولكنك ترفض أساليب القهر والضغط .

اعتدل (رشدى) فى حركة حادة ، وهو يقول :

ــ ومن أدراك ؟!..

أجابه فى سرعة :

ــ انا أعرف تاريخك كله ، و ....

قبل أن يتم عبـارته ، انعقد حاجبا (رشدى) فى شـدة ، وسحب مسدسه فى حركة حادة سريعة ، وصوَّبه إلى رأسه ...

ومع المفاجأة ، أطلق (حاتم) شهقة قوية .... للغـاية .

* * *

3 ــ أمن دولة ....

ارتجفت كل ذرة من كيان (حاتم) ، وهو يحدِّق فى فوهة المسدس ، المصوَّبة إليه ، و ...

وفجأة ، انطلق شىء ما ، من أعمق أعماق عقله ..

فوهة أخرى كانت مصوَّبة إلى رأسه ...

فوهة تختلف ...

فى زمن يختلف ...

فوهة مغطاة بزجاج قرمزى داكن ، وخلفها وجه قاس شبه آدمى ...

« لابد وأن تموت ... »

ثم انطلقت من تلك الفوهة حزمة من الاشعة ...

حزمة لها نفس اللـــون الأرجوانى ، مع صوت أشـبه بفحيح أفعى هائلة ، وسطع الضوء فى شدة ، و...

« كيف عرفت تاريخى ؟!.. »

انتفض جسده فى عنف ، وعاد عقله إلى زمنه ، وهو يحدِّق فى فوهة مسدس (رشدى) ، الذى اكمل فى صرامة أكثر :

ـ الجماعات المتطرِّفة وحدهـا تجمـع تاريخنا ؛ سعيًا وراء الانتقام منا يومًا .

انفرجت شفتا (حاتم) لحظة ، موحية بأنه سيقول شيئًا ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبقهما فى قوة ...

ربما لأنه وجد أنه ما من جدوى مما سيقول ...

لا أحد سيصدقه ...

لا أحد حتمًا ...

« أجب .... »

هتف بها (رشدى) ، بكل ما لديه من صرامة ، وهو يجذب إبرة مسدسه ، فقال (حاتم) فى عصبية :

ـ لن تصدقنى .

أجابه (رشدى) فى حدة :

ـ هات ما لديك ، واترك لى مهمة تقييمه .

التقط (حاتم) نفسًا عميقًا ، وحاول فى صعوبة أن يزدرد لعابه الجاف ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ يومًا ما ، سيصبح تاريخك معروفًا للجميع .

زمجر (رشدى) ، قائلاً :

ـ تحدَّث عن الآن .

أكمل (حاتم) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ لأنك ستصبح وزيرًا .

على الرغم مما فى القول من روح عبثية ، تراجع (رشدى) بحركة حادة ، وخفض فوهة مسدسه ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـ وزير ؟!..

أومأ (حاتم) برأسه إيجابًا ، وعاود عبثًا محاولة إزدراد لعابه ، وهو يقول :

ـ نعم ... وزيرًا للأمن .

غمغم (رشدى) ، فى حذر متوتر :

ـ تقصد وزيرًا للداخلية ؟!..

هزَّ (حاتم) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ بل للأمن ... المسمى نفسه سيتغير ، بعد عشرة أعوام من الآن .

حدَّق فيه (رشدى) بضع لحظات ، فى دهشة مستنكرة ، قبل أن يرفع فوهة مسدسه فى وجهه مرة أخرى ، قائلاً فى غضب :

ـ أهذه وسيلتك للإفلات ؟!..

غمغم (حاتم) فى دهشة :

ـ الإفلات ؟!..

اجابه فى حدة :

ـ نعم ... التظاهر بالجنون ؛ حتى تفلت من التهمة .

هتف (حاتم) فى توتر شديد :

ـ أية تهمة ؟!... لقد جئت إلى هنا لتحذيركم ، فاعتبرتونى جميعًا متهمًا ، ولم يحاول أحد منكم التحقق مما قلته .

ثم هزَّ رأسه فى شدة ، هاتفًا .

ـ لهذا الأسلوب العقيم ، سيتغير نظام الأمن كله .

انعقد حاجبا (رشدى) فى شدة ، وحدَّق فيه لحظات ، بوجه لا يحمل أية انفعالات واضحة ، إلا أنه لم يلبث أن خفض فوهة مسدسه ، وأعاده إلى غمده ، وهو يقول :

ـ هل تعلم ؟!... إنك على حق فى بعض ما تقول .

تنفس (حاتم) الصعداء ، وسأله فى لهفة :

ـ هل صدقتنى اخيرًا ؟!

أجابه (رشدى) فى صرامة :

ـ ليس للأمر علاقة بتصديقك أو تكذيبك ... إننى أتحدَّث عن التحقق مما تقول .

رفع سمَّاعة الهاتف ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ قلت إنهم صنعوا كل هذا لاغتيال (رمزى الجيار، ... أليس كذلك ؟!..

هزَّ (حاتم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لم أذكر اسم الرجل ، ولست حتى اعرفه ... كل ما قلته إنه لم يكن حادثًا عرضيًا ، وإنما كان نوعًا من الاغتيال السياسى .

انعقد حاجبا (رشدى) ، وهو يقول :

ـ لم تكن تقصد (رمزى الجيَّار) بالتحديد إذن .

أجابه (حاتم) فى حزم :

ـ أكررُ اننى اجهل اسم الشخص المقصود .

أدار (رشدى) رقم الهاتف ، ثم اعتدل يقول لمحدِّثه عبره :

ـ صباح الخير يا (حازم) ... اخبرنى ... من من ساسة المعارضة كان يستقل ذلك القطار ؟!..

استمع فى اهتمام ، وراح يدوِّن بضع كلمات على ورقة امامه ، قبل أن يعتدل فى حركة حادة ، هاتفًا :

ـ (أمين ضياء) ؟!... ألنت واثق ؟!

اصطدم الاسم بأذن (حاتم) ، وترك صدى هائلاً ...

صدى دوى فى مخه كله ....

نعم ... إنه (أمين ضياء) ... الرئيس السابق لحزب المستقبل المعارض ....

لقد اغتالوه ، حتى لا يكشف ما لديه من أدلة ومستندات ، على تورُّط عدد من كبار رجال الحزب والحكومة ، فى فضيحة فساد كبرى ...

« إنه هو ... »

هتف (حاتم) فى انفعال جارف ، فالتفت إليه (رشدى) بنظرة مندهشة متوترة ، بدا توترها واضحًا فى أصابعه ، التى تمسك الهاتف ، وهو يقول لمحدِّثه :

ـ لا يا (حازم) .... شكرًا .... هذا يكفى .

انهى المحادثة ، وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يفكر فى عمق ، فى حين قال (حاتم) فى انفعال :

ـ كان يستكمل بعض المستندات ؛ لإدانة شبكة فساد كبرى ، عندما قرَّروا التخلُّص منه ، و...

التفت إليه (رشدى) فى حركة حادة ، يقاطعه :

ـ (أمين ضياء) لم يعلن أى شىء عن هذا .

نهض (حاتم) نصف نهضة ، متشبثًا بإطار المكتب ، ومال نحو (رشدى) قائلاً فى انفعال :

ــ كان يهم بإعلان هذا ، ولكنهم ...

قاطعه (رشدى) فى حدة :

ــ كفى .

ثم نهض من خلف مكتبه ، مكملاً فى غضب :

ــ من أنت حتى تحضر إلى هنا ، متظاهرًا بأنك تعرف ما لا يعرفه الآخرون ..؟

قال (حاتم) ، وجسده وصوته يرتجفان فى انفعال :

ــ ليس ما لا يعرفونه ، ولكن ما لم يعرفوه بعد .

صرخ فيه (رشدى) فى غضب :

ــ وكيف تعرفه أنت ؟!..

امتقع وجه (حاتم) ، وتراجع فى مقعده ، وبدا شديد الحيرة ، وهو يغمغم فى خفوت :

ــ لست اعلم ... صدقنى ... لست أعلم .

صرخ (رشدى) ، وهو يلّوح بسبّابته فى وجهه ، فى انفعال جارف :

ــ وتريدنى ان أصدقك ..؟!

تضاعفت علامات الحيرة على وجه (حاتم) ، وهو يغمغم :

قاطعه (رشدى) فى انفعال حاد :

ــ لا يوجد ربما ... إما أنك تعلم ما تعلمه ؛لأنك جزء من مؤامرة الاغتيال المزعومة ، أو انك مصاب بنوع من جنون الاضطهاد ، أو انفصام الشخصية ..

انفرجت شفتا (حاتم) ، ليجيب بعبـــارة ما ، لولا أن ارتفع فجأة صوت صارم ، يقول :

ــ أنا أرجح الاحتمال الثانى .

أدار (رشدى) عينيه فى حركة حادة ، إلى مصدر الصوت ، والتفت إليه (حاتم) فى توتر ، فوقع بصراهما على رجل أنيق المظهر ، صارم الملامح ، استطرد فى لهجة صارمة :

ــ انا العقيد (هشام حمزة) ، من امن الدولة .

مد (رشدى) يده يصافحه فى توتر ، قائلاً :

ــ أعرفك جيدًا بالطبع يا سيادة العقيد

نقل (حاتم) بصره بينهما فى توتر ، فى حين رمقه (هشام) بنظرة صارمة ، وقال :

ــ معذرة يا سيادة المقدَّم ... لقــد تمت تنحيتك عن هذه القضية .

تفجَّرت الدهشة فى وجه (حاتم) ، فى نفس اللحظة التى هتف فيها (رشدى) فى استنكار :

ــ تنحيتى ؟!... ولكنهــا ليست قضية بعــد ... إننى أستمع فحسب إلى المهندس (حاتم) ، و ...

قاطعه (هشام) بمنتهى الصرامة :

ــ لقد أصبحت قضية ، منذ هذه اللحظة ... قضية امن دولة عليا ، وتحت إشرافى شخصيًا .

وهنا ... هنا فقط ، ادرك (رشدى) انه أمام مؤامرة ...

مؤامرة أمن دولة ...

عليا .

* * *

« لا يا أمى ... لن أطلب الطلاق ... »

هتفت زوجة (حاتم) بالعبارة فى حدة ، وهى تواجه أمها ، التى تراجعت فى دهشة مستنكرة ، هاتفة بدورها :

ــ لن تطلبيه ؟!... ولكنه الحل الوحيد لما يحدث يا بنيتى .

هتفت الزوجة فى عصبيةٍ :

ــ الحل الوحيد هو أن اتخلى عن زوجى فى محنته ؟!... أى حل هذا ؟!... حل تقوم به زوجة جاحدة خائنة ؟!... ماذا تطلبين منى بالضبط يا امى ؟!

ثم ارتفع حاجباها فى تأثر ، وهى تواصــل ، وقــد اختلفت لهجتها تمامًا :

ــ (حاتم) كان دومًا رفيقًا حنونًا مهذبًا منذ عرفته ، ولقد عشت معه أيامًا مفعمة بالسعادة ، قبل أن ...

صمتت لحظة ، فهتفت أمها :

ــ قبل أن يصاب بالجنون .

انتفضت الزوجة فى غضب ، هاتفة :

ـ قبل ان يمر بهذه الازمة .

ثم هزَّت رأسها ، وكأنها تحاول اقناع نفسها بما تقوله ، وهى تردف :

ـ إنه ضغط العمل ... بالتأكيد هى ضغوط العمل المتواصل .

انعقد حاجبا أمها ، وهى تتطلَّع إليها بعـدم رضى ، قبل أن تقترب منها ، قائلة ، وكأنها تحاول استمالتها :

ـ ماذا تعرفين عن (حاتم) هذا ؟!...

التفتت إلى أمها فى دهشة واستنكار ، ولكن الأم تابعت فى إصرار :

ـ لقد التقيت به فى (شرم الشيخ) ، وبهرك أسلوبه وتهذيبه ، وتطوَّرت علاقتكما فى سرعـة ، وعاندت الأسرة كلهـا حتى تتزوجيه .

ثم هتفت مكملة فى عصبية :

ـ إننا حتى لم نلتق أسرته أبدًا .

بدا صوت الزوجة مترددًا متوترًا ، وهى تغمغم :

ـ حاتم أخبرنى أن أسرته كلها قد ....

قاطعتها أمها فى عصبية :

ـ لقيت مصرعها فى حادث ... أليس كذلك ؟!

أومأت برأسها فى صمت شاحب ، فتابعت الأم بنفس العصبية :

ـ وماذا عن باقى الأسرة ؟!... ماذا عن أعمامه ، واخواله ، وحتى أقاربه من الدرجة الخامسة ؟!... أين هم ؟!... لماذا لم نلتق بواحد منهم ، منذ عرفناه ، ولو بالمصادفة ؟!...

بدا صوت الزوجة شديد التردد والتوتر ، وهى تقول :

ـ لقد أخبرنى أن ...

عادت امها تقاطعها فى حدة :

ـ ارأيت ؟!... لسـنا نعلم عنـه إلا ما أخبرنا به ... فقـط ما أخبرنا هو به ... من أدرانا ما هو السبب الحقيقى ، الذى يخفى من اجله أسرته ؟

امتقع وجه الزوجة فى شدة ، وهى تتساءل ، فى صوت أشد شحوبًا من وجهها :

ـ هل تعنين انهم ربما كانوا فى السجن مثلا ؟!..

مالت أمها نحوها بشدة ، مجيبة :

ـ أو فى مستشفى للأمراض العقلية ...

ـ وتراجعت الزوجة بعينين متسعتين ، وقد ازداد وجهها امتقاعًا وشحوبًا ...

ـ وبشدة ...

* * *

لم يصدِّق (حاتم) أبدًا ما يحدث له ....

لم يصدِّق كيف تطوَّرت الأمور على هذا النحو ، بسبب زيارة بسيطة لقسم الشرطة ...

ربما لم يصدقوه ....

وربما تصوروا أنه مجنون ....

ولكن لماذا يتحوَّل كل هذا إلى قضيةَ أمنية ؟!...

لماذا ؟!....

لماذا ؟!....

لو أنهم تصوروا أنه مجنون ؛ لأصبحت هذه قضية طبية ... قضية فحص ....

وتشخيص ....

وحسم ....

وربما نقل إلى مستشفى الأمراض العقلية ....

ولكن لماذا الأمن ؟!...

« لماذا ؟! .... »

هتف بالكلمة الأخيرة فى عصبية ، وهو يجلس أمام مكتب (هشام حمزة) ، فى مبنى مباحث أمن الدولة الرئيسى ، فرفع هذا الاخير عينيه إليه فى برود قاس ، وهو يقول :

ـ من أجل الحقيقة .

هتف (حاتم) فى توتر وانفعال :

ـ أية حقيقة ؟!... لقد تصوَّرت أننى أعلم شيئًا ، فأخطات وتصوَّرت أن الأمن يهتم بمعرفة ما لدى ، وقمت بدورى كأى مواطن شريف ، لينتهى الأمر بى إلى هذه المأساة !!!.... فأية حقيقة هى التى تتحدث عنها ؟

مال (هشام) نحوه ، وهو يقول فى صرامة شديدة :

ـ الحقيقة التى تعرفها ، وترفض الإفصاح عنها .

انتفض جسد (حاتم) من فرط الانفعال ، وهو يقول :

ـ أية حقيقة بالضـبط ؟!... ما أخبرتكم به فى البداية لم تصدقوه ، وما قلته بعدها رفضتموه ، فعن أية حقيقة تبحثون ؟ وعـن ....

قاطعه (هشام) بان ضرب سطح مكتبه براحته فى قوة ، وقد انقلبت سحنته على نحو مخيف ، وهو يصرخ فى شراسة عجيبة :

ـ الحقيقة .

انكمش (حاتم) فى مقعده ، واتسعت عيناه فى خوف ، فى حين نهض (هشام) من خلف مكتبه فى حركة حادة ، ودار حوله ليواجهه ، وهو يردف فى لهجة مخيفة :

ـ قصة الرؤيا المستقبلية هذه لن تخدع طفلاً صغيرًا يا هذا ... هناك حقيقة أخرى ، أوصلتك لما قلته ... أمور تعرفها ، وتدور حولها ، حتى لا تفصح عنها .

ثم جلس على طرف مكتبه ، ومال نحو (حاتم) ، حتى كاد يلتصق به ، وهو يقول :

ـ حقيقة سأعرفها ، وسأنتزعها منك ، شئت أم أبيت .

وانعقد حاجباه ، حتى بدا أشبه بشيطان آدمى ، وهو يضيف :

ـ وبأية وسيلة ممكنة .

حدَّق (حاتم) فى وجهه لحظات ، و ...

وفجأة ، بدا له أن هذا الوجه مألوف ...

لقد رآه من قبل ...

رآه قبل أن يلتقى به هناك ...

فى مكتب (رشدى عبد الهادى) ...

رآه فى ...

« سيحاكمونك بتهمة إساءة استخدام السلطة ... »

تراجع (هشام) بحركة حادة ، وقد أدهشه ذلك التحوُّل المباغت ، وانتزعه من ذلك الدور الشيطانى الذى يلعبه ، فى حين تلاشى كل أثر للخوف والتوتر والانفعال ، من وجه (حاتم) ، وبدا شديد الحماس ، وهو يكمل :

ـ تجاوزاتك ستبلغ حداً تعافه النفوس ، وستبلغ حد تعذيب وقتل من تستجوبه ، ولكن نظام الأمن سيحمى فسادك لأعوام ، تتمادى خلالها فى غيك ، ثم .

بدا (هشام) شديد العصبية ، وهو يسأله :

ـ ثم ماذا ؟!..

أجابه (حاتم) فى سرعة ، وبنفس الحماس :

ـ ثم ستكشف هذه القضية فسادك وتجاوزاتك ... وستكشف فساد الجهاز الامنى كله ، وبسببها سيتم عزلك من منصبك ، وستحاكم مع عدد من المسئولين الفاسدين محاكمة علنية ، و ....

صرخ فيه (هشام) فجأة :

ـ كفى .

ثم عاد يميل نحوه ، قائلاً فى شراسة وحشية :

ـ لا تطلق لأحلامك وتمنياتك العنان .

قال (حاتم) ، دون ان يبدو عليه أثر للخوف :

ـ ليست أحلامًا ... إنه مستقبلك .

وصمت لحظة ، قبل ان يضيف فى حزم :

ـ هل تريدنى ان اخبرك التوقيت بالتحديد ؟!..

وعلى الرغم من موقفيهما ، وما يوحيان به ، من حيث ميزان القوى ، عاد (هشام) يتراجع بوجه شاحب ، لم يلبث أن استعاد احتقانه ، وهو يقول فى شراسة غاضبة :

ـ أى دور تحاول لعبه بالضبط يا هذا ؟!..

أجابه (حاتم) ، فى صرامة لا تتناسب مع موقفه :

ـ الحقيقـــة .

انقض عليه (هشام) فجأة ، وقبض على مقدمة سترته ، وجذبه منها فى عنـــف وقســـوة ، وهـــو يصرخ ، على بعد سنتيمترات من وجهه :

ـ الحقيقة سأنتزعها منك الآن ، وسأجعلك تتوسَّل لتخبرنى بها .

استعاد (حاتم) خوفه وتوتره ، وهو يغمغم :

ـ هذا بالضبط ما ستحاكم عليه .

ضم (هشام) قبضته فى عنف ، وحملت ملامحه كل القسوة والشراسة والوحشية ، و ....



« هذه البطاقة تثير حيرتنا يا سيادة العقيد ... »

دخل احد الضباط إلى الحجرة بهذه العبارة ، قبل ثانية واحدة من اندفاع قبضة (هشام) نحـو أنف (حاتم) ، فتراجع وهو يسأل فى عصبية :

ــ ولماذا تثير حيرتكم ؟!... إنها إما صحيحة أو مزيفة .

تطلّع (حاتم) فى توتر إلى بطاقة الرقم القومى الخاصة به ، والتى يمسكها ذلك الضابط فى يده ، وهو يجيب (هشام) :

ــ المدهش أنها صحيحة تمامًا ، وحتى الخبراء لم يجدوا بها لمحة تختلف عن أية بطاقة عادية ، ولكن ...

سأله (هشام) فى توتر ، شاركه فيه (حاتم) :

ــ ولكن ماذا ؟!..

أجابه الضابط فى ارتباك شديد :

ــ لا وجود لبياناتها عبر نظام الكمبيوتر كله ... لا شهادة ميلاد ، إو شهادات تخرج أو غيرها ... باختصار ، هذه بطاقة رجل لا وجود له ... إطلاقًا ...

وكـان من الطبيعى والحال هكذا ، أن تتسع عيون (هشام) و(حاتم) ....

معًا .

* * *

4 ــ مخـابـرات ....

امتقع وجه ذلك المسئول الكبير فى شـدة ، وهو يطالع تلك الرسالة العاجلة ، التى أرسلها إليـه العقيد (هشام) ، ورفع وجهه إلى رئيس امنه ، متسائلاً فى هلع ، لا يتناسب مع منصبه الرفيع :

ــ ما الذى يعنيه هذا ؟!...

هزّ رئيس أمنه كتفيه فى حيرة مضطربة ، وهو يقول :

ــ نظم صنع بطاقات الرقم القومى عسيرة وشديدة التعقيد ، بالإضافة إلى أن أجهزتها رفيعـة المستوى التكنولوجى ، ومن المستحيل أن يستطيع مزوّر عادى مجرّد الحصول عليها .

سأله المسئول فى توتر :

ــ ألا يمكن تزويرها ؟!

تردد رئيس أمنه لحظات ، فصاح به فى حدة :

ــ أهذا ممكن أم غير ممكن ؟!

واصل رئيس أمنه تردده لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى توتر :

ــ غير ممكن على المستوى الشعبى .

انعقد حاجبا المسئول فى غضب ، مع ذلك الجواب الهلامى ، فتابع رئيس أمنه فى تردد واضح :

ــ وليس على المستوى الدولى .

تراجع المسئول بحركة حادة ، متسائلاً فى انزعاج :

ــ ماذا تعنى ؟!..

أجابه فى سرعة :

ــ أعنى انه أمر مستحيل ، لمزوِّر عادى ؛ لأنه لا يحتاج إلى براعة فائقة فحسب ، ولكن إلى مهارة تكنولوجية غير عادية ، وإلى أموال طائلة ، يستحيل أن يحصـل عليهـا ، ولا تساوى النتائج هذا فى النهاية ، ولكن بالنسبة لدولة أخرى .

قاطعه المسئول ، وهو يشهق فى ذعر :

ــ دولة أخرى ؟!

تابع رئيس أمنه ، دون أن توقفه الشهقة :

ــ الدول تمتلك تلك التكنولوجيا بطبيعة الحال ، وهذا يجعلها قادرة على تزييف كل الهويات الرسمية ، و ....

عاد المسئول يقاطعه فى هلع :

ــ هل تعنى أن ذلك الرجل ، يعمل لحساب دولة أخرى ؟

تزايد تردد رئيس أمنه هذه المرة ، قبل أن يقول فى خفوت :

ــ ليس من الضرورى ان تكون أخرى .

اتسعت عينا المسئول فى ارتياع ، وسأله بصوت شاحب :

ــ ماذا تعنى ؟!...

هزَّ الرجل كتفيه ، وقال :

ــ ربما يعمل لحسابِ مخابراتنا .

امتقع وجه المسئول بشـدة ، وهو يتراجع منكمشًا فى مقعده الفخم الكبير هذه المرة ...

يعمل لحساب المخابرات ؟!...

هذا يعنى انهم قد كشفوا أمره ، على نحو أو آخر ...



وهذه كارثة ...

لو كشفوا أمره ، وأمر ما فعله ، فسيعنى هذا نهايته ، وفتح كل ملفاته القديمة ، و ....

« لا .... مستحيل !!... »

هتف بها فى قوة ، وكأنه يحاول إقناع نفسه بها ، فتطلّع إليه رئيس أمنه فى دهشة ، وهو يردد متوترًا :

ــ مستحيل ؟!...

صاح فيه المسئول فى عصبية :

ــ نعـم ... مستحيل !... المخـــابرات لا شان لها بالشئون الداخلية .... إنها ليست مسئوليتها ..

أجابه رئيس امنه فى حذر :

ــ المخابرات جهاز سيادى ، يتبع رئيس الجمهورية مباشرة ، وسينفذ أوامر فخامته ، فى أى شأن كان .

عاد وجه المسئول يمتقع ، وهو يغمغم :

ــ ولكن ... لو أنها مخابراتنا ، فلماذا ...؟!

أسرع رئيس طاقمه يهتف منزعجًا :

ــ أنا لم أجزم بهذا يا سيدى .... كان مجرَّد احتمال فحسب .

هتف المسئول :

ــ ولكنه تفسير مثالى لتلك البطاقة التى يحملها .

انعقد حاجبا رئيس أمنه لحظات ، قبل أن يغمغم :

ــ ربما كان هذا صحيحًا .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يشد قامته ، مضيفًا فى حزم :

ــ ولكننا لا نعلم هذا .

سأله المسئول فى اضطراب :

ــ ماذا تريد أن تقول ؟!

مال رئيس أمنه ، مستندًا براحتيــه على سطح مكتبه ، وهو يقــول :

ــ من النــاحية الرسمية ، نحــن نستجوب مشتبهًا فيه ، فى واقعــة إرهاب ، ووفقًا لقــانون الطــوارئ ، حتى مع تعديلاته الأخيرة ، نحن نسير على منهج قانونى تمامًا .

قال المسئول فى عصبية :

ــ لست أفهم .

اعتدل رئيس امنه ، وهو يقول :

ــ (هشام حمزة) سيفهم .

نطقها فى غموض ...

كل الغموض ....

* * *

« ماذا تريد أن تقول بالضبط يا (رشدى) ؟!... »

ألقى الطبيب الشرعى الشاب السؤال ، فى فضول واهتمام شديدين ، على المقدَّم (رشدى) ، الذى انعقد حاجباه ، وتراجع فى مقعده ، وهو يغمغم فى توتر :

ــ لست أقول شيئًا ... فقط أريد أن أعرف .

ابتسم الطبيب الشاب ، متسائلاً :

ــ تعرف ماذا ؟!...

أجابه فى جدية متوترة :

ــ سبب وفاة (أمين ضياء) .

ارتفع حاجبا الطبيب الشاب فى دهشة ، وهو يحدِّق فى وجه (رشدى) ، قبل أن يطلق ضحكة قصيرة ، ويقول :

ــ يمكنك ان تسأل أى رجل شارع فى (مصر) ، وسيخبرك أن سبب الوفاة هو حادث القطار .

انعقد حاجبا (رشدى) ، وهو يقول فى عصبية :

ــ حادث القطار هو الوسيلة ، ولكننى أسأل عن أسباب الوفاة .

ارتفع حاجبا الطبيب الشاب ، وابتسم ، وهو يقول :

ــ مدهش ... ثقافة لا تتناسب مع ضابط امن دولة .

سأله (رشدى) فى ضيق :

ــ وكيف يفترض أن تكون ثقافة ضباط أمن الدولة .

ضحك الطبيب الشاب ، قائلاً :

ــ ثقافة اعتقال .

لم ترق الدعابة له ، فقال فى شىء من الصرامة :

ضابط أمن الدولة ، بحكم سعة تعاملاته وتنوُّعها ، يفترض فيه ان يمتلك ثقافة واسعة .

حاول الطبيب الشاب أن يقول شيئًا ، ولكن (رشدى) واصل فى صرامة :

ـ وهذا لا يجيب سؤالى .

تراجع الطبيب الشاب ، وتطلَّع إليه لحظة ، قبل أن يقول :

ـ أنت على حق ، فحادث القطار وسيلة ، يمكن ان يحدث الموت معهـا بسبب اصطدام الرأس بجسـم صلب ، أو السقوط عليه ، أو على جسم حاد ، أو من سقوط الركاب على بعضهم البعض ، أو حتى بأزمة قلبية ، من جراء الصدمة .

سأله (رشدى) فى اهتمام :

ـ وأيها ينطبق على (أمين ضياء) .

صمت الطبيب الشاب لحظة فى تردد ، قبل ان يجيب فى خفوت :

ـ لست أدرى .

انعقد حاجبا (رشدى) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ ليس هذا الجواب الذى توقعْتُه .

اعتدل الطبيب الشـاب ، وقال فى سرعة ، وكأنه يدافع عن نفسـه :

ـ هل تدرك عـدد ضحايا حادث القطار هـذا ؟!... هل تدرك عدد القتلى والمصابين ؟!.. إننا فى مثل هذه الكوارث لا تفحص كل قتيل على حدة ، ولا نحدد أسباب وفاة كل منهم متفردًا ... إننا نكتب الحادث فى خانة سبب الوفاة فحسب ، وإلى جوارها عبارة تقول : عن سبب الوفاة إصابة ، نتج عنها هبوط حاد فى الدورة الدموية .

مال (رشدى) نحوه ، يقول فى صرامة :

ـ وماذا لو أن سبب الوفاة يخالف هذا ؟!..

قلب الطبيب الشاب كفيه ، وقال فى توتر :

ـ ولماذا ؟!... كلهم أصيبوا ، ولقوا حتفهم نتيجة للإصابة .

صمت (رشدى) لحظات ، وهو يرمقه بنظرة غامضة ، قبل أن يقول :

ـ وماذا ؟!... كلهم أصيبوا ، ولقوا حتفهم نتيجة للإصابة .

ــ وماذا لو طلبت منك إعادة فحص جثة (أمين ضياء) ، على نحو منفرده ، وتحديد أسباب وفاته بدقة ؟!...

بدت الدهشة على وجه الطبيب الشاب ، قبل أن يتساءل فى حذر :

ــ بصفة قانونية ؟!...

هزَّ (رشدى) رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يجيب فى حزم :

ــ بل بصفة شخصية .

ظلَّ كلاهما يتطلَّع إلى عينى الآخر لحظات فى صمت ، قبل ان يغمغم الطبيب الشاب فى خفوت :

ــ هذا قد يكلفنى وظيفتى .

غمغم (رشدى) بدوره :

ــ قانون العمل فى (مصر) لا يسمح بفصل أحد .

مضت لحظات أخرى من الصمت ، قبل أن ينهض الطبيب الشاب من مقعده ويقول فى حزم :

ــ ينبغى ان نسـرع إذن ، فسيتم تسليم الجثث كلهـا لذويها صباح الغـد .

وتنهد (رشدى) فى ارتياح عجيب ، تشوبه لمحة من التوتر ، فى مزيج مدهش عجيب ....

وفى أعماقه تفجَّر سؤال كبير ...

ترى هل سيسفر هذا عن جديد ؟!...

هل ؟!...

* * *

لم يشعر (حاتم) فى حياته كلها ، بذلك المزيج من الإرهاق والتوتر ، مثلما شعر بهما فى تلك اللحظة ، وهو يغلق عينيه ، فى ركن مكتب (هشام حمزة) ، وذلك الضخم يقف إلى جواره ، ويمسك كتفه فى قوة ، وكأنه يحاول منعـه من الفرار ، على الرغم من وجوده داخل المبنى الرئيسى لأمن الدولة ، فى مدينة (نصر) ...

كـان (هشـام) منهمكًا فى حديث تليفـونى هامس ، وكل ملامحه تشّف عن خطورة هذا الحـوار السرى ، فحاول هو ، على الرغم من سخافة الموقف كله أن يسترخى ، وأن يحظى ولو بدقيقة أو دقيقتين من النوم ...

« وجودك هنا لم يعد آمنًا ... »

نطقها حارسه الخاص فى حزم ، وهما يقفان على قمة ذلك النصب التذكارى الكبير ، الذى أقيم فى نهاية النصف الأول من القرن الحادى والعشرين ، فرفع عينيـه إليـه فى توتر ، وقال بلهجة تشوبها نبرة عصبية :

ـ لن أتخلى عن مسئولياتى بهذه السهولة .

قال الحارس الخاص ، فى حزم أكثر :

ـ ولكن ابتعادك صار ضرورة حتمية .

تزايدت عصبيته ، وهو يجيب :

ـ هذا بالضبط ما ينشدونه بمحاولاتهم هـذه ... أن أشعر بالخطر ، وبالخوف على حياتى ، وأن ابادر بالفرار ....

قال الحارس فى صرامة :

ـ وهذا ما ينبغى أن تفعله بالفعل .

لوَّح بذراعيه فى حدة ، هاتفًا :

ـ وأتخلى عن كل هذا ؟!... هل نسيت لماذا أقيم هذا النصب الخاص ، الذى نقف فوقه ؟!... لقد أقيم لتمجيد ثورة الحرية ... تلك الثورة التى استعاد بها هذا الشعب كرامته وحريته ، بعد ما يقرب من قرن من الزمان ، رزح خلاله تحت نير الظلم والجبروت ... إنه رمز الحرية يا رجل ... الحرية التى يحاولون سلبها من هذا الشعب ثانية ، وهذا ما لا يمكن ، بل ويستحيل أن أقبل به أبدًا .

أمسك حارسه الخاص ذراعه ، هاتفًا :

ـ وجودك هو الدعامة الأساسية لهذه الحرية ، ولهذا يجب ان تبقى .

جذب يده فى حدة ، هاتفًا :

ـ خطأ ... وجـود الشعب وإرادته هـو الدعامة الأساسية والرئيسية والوحيدة للحرية ... الأفراد زائلون ، ولكن الشعب والوطن باقيان ... فكرة ارتباط الحرية بفرد واحد هى قمة الديكتاتورية ...

هتف الحارس الخاص ، وقـد تحوَّلت صرامته إلى عصبية واضحة :

ـ ولكنك لم تكمل برنامجك بعد ، ووجودك مازال ضروريًا ، وإلا فلماذا يحاولون اغتيالك الآن ؟!... لماذا ؟!...

« هذا ليس فندقًا ... »

انتزعته صرخة (هشام) الصارمة من عالمه الخاص ، واخرجته من نومه ، لتلقى به فى عنف فى عالم الواقع ، فانتفض جسده ، وهو يفتح عينيه فى سرعة ، فوجد (هشام) يقف أمامه مباشرة ، وهو يكمل فى شراسة :

ـ من سمح لك بالنوم ؟!

تنحنح فى توتر ، واعتدل فى مجلسه ، مجيبًا فى صوت أشبه بالغمغمة :

ـ جسدى المنهك .

صرخ فيه ، فى شراسة أكبر :

ـ لم يحن وقت النوم بعد .

قالها ، ورمقه بنظرة وحشية ، قبل أن يعود إلى ما خلف مكتبه ، ويضيف فى قساوة :

ـ ستنام عندما تخبرنى بكل ما لديك .

قال (حاتم) فى توتر :

ـ لقد اخبرتك به بالفعل .

ابتسم (هشام) ابتسامة شديدة العصبية ، وهو يقول :

ـ أنت لم تستوعب ما يمكننا ان نفعله بك ... أليس كذلك ؟!..

زفر (حاتم) فى إرهاق ، وسأله فى عصبية :

ـ ما الذى تريد معرفته بالضبط ؟!...

أشاح (هشام) بوجهه عنه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ما علاقتك بذلك التنظيم الإرهابى بالضبط ؟!... ومن يمولكم ويعاونكم من خارج البلاد ؟!..

حدَّق فيه (حاتم) فى دهشة مستنكرة ، وهو يقول :

ـ تنظيم إرهابى ، وخارج البلاد ؟!.. من أين أتيت بهذا ؟!...

أجابه (هشام) فى صرامة شديدة :

ـ من اعترافاتك .

كاد يهب من مقعده ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـ اعترافاتى ؟!..

دفعه الضخم من كتفه فى قوة وغلظة ، فى حين تابع (هشام) بنفس تلك الصرامة الوحشية :

ـ الاعترافات التى ستوقعها بنفسك هنا .

« هل جننت ؟!... »

صرخ بالعبارة فى غضب مستنكرًا ، فهوى ذلك الضخم على فكه بلكمة قوية ، قبل حتى ان تنتهى صرخته ، و...

ولدهشته هو شخصيًا ، ارتفعت يـده فى سرعة خرافية ، لتمسك قبضة الضخم ، قبل أن تلمس فكه ...

وعلى الرغم من ضخامة ذلك الضخم وقوته الظاهرة ، ارتطمت يده براحة (حاتم) التى لم تتحرك من مكانها ، كما لو أنهـا حائط من الصـلب ، وشهق الضخم فى ألم ، واتسعت عيناه فى شىء من الذعر ، وهو يتراجع فى حركة غريزية حادة ، فصرخ فيه (هشام) فى غضب :

ـ ماذا أصابك ؟!

بدا صوت الضخم مهتزًا مضطربًا ، وهو يقول :

ـ ألم تر سيادتك ما حدث ؟!..

صاح به (هشام) :

ـ لقد لكمته فى رعونة .

هتف الضخم ، فى صوت أكثر اضطرابًا :

ـ بل أقسم أننى لكمته بكل قوتى .

انعقد حاجبا (هشام) فى شدة ، وحدَّق فى الضخم لحظة ، ثم لم يلبث أن نقل تحديقه إلى (حاتم) ، الذى بدا أكثر منه دهشة ، وهو يقلب راحته ؛ ليحدِّق فيها ذاهلاً ، خاصة وأنه لم يشعر بقوة اللكمة بالفعل ...

وفى غضب غلب دهشته ، غادر (هشام) مكتبه ، واتجه فى خطوات عصبية نحو (حاتم) ، وهو يقول للضخم :

ـ لو انك نسيت كيف تلكم .

ثم هوى بقبضته على فك (حاتم) ، مردفًا فى انفعال عنيف :

ـ فدعنى أذكرك .

وللمرة الثانية ، ارتفعت قبضة (حاتم) فى سرعة خرافية ، وصد لكمة (هشام) فى راحته ...

وفى هذه المرة ، كان هناك صت ...

صوت ارتطام قبضة ضابط أمن الدولة براحة المتهم ....

بمنتهى العنف ...

وبعد ذلك الصوت مباشرة ، وثب (هشام) إلى الخلف ....

وثب فى حركة غريزية حادة ، وقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، وبدا أشبه بالمذعور ، وهو يمسك قبضته براحته الأخرى فى ألم ..

ومع تراجعه ، وتلك الملامح التى ارتسمت على وجهه ، تراجع الضخم أكثر ....

وأكثر ...

وفى كل خلجة من خلجاته ، ارتسم رعب ...

وفزع ...

وذهول ....

إنه لم يواجه ، فى حياته كلها ، أمرًا كهذا ..

لقد اعتاد دوماً أنه الأقوى ...

فهو ضخم الجثة ، قوى البنية ، مفتول العضلات ...

ثم انه يحمل رتبة رقيب ، وفى امن الدولة ....

وهذا دوما يجعله أقوى من كل من يتم احتجازه هناك ....

أقوى بحكم بنيته ...

وبحكم سلطته ....

وبحكم حماية الكبار له ....

ولكنها أول مرة يشعر فيها بالخوف ....

أول مرة يكون فيها المتهم أكثر قوة ....

أول مرة ، على الإطلاق ....

أما (هشام) والذى لم تختلف مشاعره كثيرًا ، فقد غمغم فى ذهول :

ــ كيف تفعل هذا ؟!...

حدَّق (حاتم) لحظة فى راحته ، قبل أن يرفع عينيه إليه فى حيرة حقيقية ، قائلاً :

ــ لست ادرى !!..

ردّ (هشام) ذاهلاً ومستنكرًا :

ــ لست تدرى ؟!... كيف ؟!...

عاد (حاتم) يحدّق فى راحته ، مغمغمًا فى حيرة أكبر :

ــ حقيقة لست أدرى !!...

حدّق فيه (هشام) عدة لحظات ، فى دهشة أكبر ، ثم لم يلبث أن تراجع نحو مكتبه فى حذر ، وهو يقول :

ــ هل فقدت الذاكرة ؟!..

هزّ (حاتم) رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يجيب فى صوت ، لم تفارقه تلك الحيرة بعد :

ــ على العكس ...إننى أحمل ذكريات لم أعشها بالفعل .

عـــاد (هشـــام) يحدّق فيـــه ، غيـــر مستوعب لإجابته ، ثم مد يده فى حـــذر ، يضغط زرًا خفيًا ، فى غطـــاء مكتبه ، وهو يغمغـــم :

ــ فى هذه الحالة ....

فور نطقه للعبارة ، اقتحم ثلاثة جنود ، مدججين بالأسلحة المكان ، وكل منهم صوَّب مدفعه الآلى نحو (حاتم) ، فصرخ فيهم (هشام) ، بكل عصبية الدنيا وانفعالها :

ــ اقضوا عليه .

واتسعت عينا (حاتم) ....

بمنتهى الشدة .

* * *

5 ـ تقـــرير ...

« لقد كنت على حق .... »

نطقها الطبيب الشرعى الشاب بصوت ووجه ممتقعين ، وهو يخلع قفازيه الجراحيين ، وجسده كله يرتجف من فرط الانفعال ، حتى انه احتاج إلى بعض الوقت ، قبل أن يتابع :

ـ العظم اللامى مكسور .

مال (رشدى) برأسه قليلاً ، فى حيرة متسائلة ، فلوَّح الطبيب الشاب بيده ، مستطردًا فى صوت مبحوح ، من فرط الانفعال :

ـ هذا يعنى أنه قد تم خنق (أمين ضياء) ، قبل حادث القطار .

تراجع (رشدى) فى حركة حادة ، هاتفًا فى ذهول :

ـ خنقه ؟!...

انعقد حاجبا الطبيب الشاب ، وهو يغمغم فى عصبية :

ـ تصوَّرت أنك كنت تتوَّقع هذا .

هــزَّ (رشدى) رأسه بضع لحظات ، قبل أن يستطيع النطق ، ليقول فى انفعال لم يستطع كتمانه :

ـ كنت أتوُّقع مفاجأة ، ولكن ليس على هذا النحو .

تراجع الطبيب الشرعى الشاب ، يحدِّق فيه قليلاً ، قبل أن يقول فى خفوت :

ـ الواقع أننى لم أكن اتوَّقع هذا مطلقًا ... لقد كنت أجاريك فحسب ، وتصوَّرت أنكم تحاولون تأكيد مصرعه فى الحادث ، ثم ...

لم يتم عبارته ، فمال (رشدى) يسأله فى انفعال :

ـ ألا يحتمل أن يكون هذا قـد حدث من جراء الحادث ؟!... صدمة فى العنق مثلاً .

هــــزَّ الطبيب الشاب رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كانت ستظهر علامات لذلك .

اعتدل (رشدى) وهو يقول ، مستعيدًا حزمه :

ـ هى جريمة قتل صريحة إذن .

أومأ الطبيب الشاب برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ــ وكان يمكن أن تتوارى فى الحادث ، لولا ....

مرة أخرى لم يتم عبــارته ، أو لم يبــد له أنهــا بحاجة إلى إتمامها ، ومن الواضح أن (رشدى) قد استوعبها ؛ فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فى بطء :

ــ نعم ... لولا الحادث .

وفجأة ، اتسعت عيناه ، وهو يضيف ، مستعيدًا انفعاله :

ــ رباه ... هل تعلم ما يمكن ان يعنيه هذا ؟!...

هــزَّ الطبيب الشاب رأسه نفيًا فى حيرة متوترة ، فأمسك (رشدى) كتفيه فجأة ، على نحو جعله يرتجف فى عنف ، وهذا الأخير يقول ، فى انفعال جارف :

ــ يعنى أن (حاتم) كان على حق .... على حق تمامًا .

وعلى الرغم من مواصلة جسده للارتجاف ، اتسعت عينا الطبيب الشاب عن آخرهما ، وهو يغمغم

ــ (حاتم) من ؟!...

ترك (رشدى) كتفيه ، وإن ظل على انفعاله ، وهو يقول :

ــ لا عليك ... أخبرنى أوَّلاً : هل يمكنك أن تعطينى تقريرًا رسميًا بما كشفته ؟!..

اتسعت عينا الطبيب الشاب اكثر ، وبدا صوته مفعمًا بالفزع ، وهو يهتف منتفضًا :

ــ مستحيل !!...

وكانت مفاجأة ....

جديدة ...

* * *

الأمر الذى أطلقه (هشام) ، بكل انفعال الدنيا ، كأن يعنى ــ حرفيًا ــ إطلاق النار على (حاتم) مباشرة ....

ولقد أنتفض جسد هذا الاخير فى عنف ؛ عندما بدا له هذا ، وتراجع فى مقعده بحركة حادة ، وكل فوهات المدافع الآلية مصوَّبة نحوه ....

ولكن أحدًا لم يطلق النار ....

فقط التفّ الرجال حوله ، و(هشام) يواصل صرخاته :

ـ إنه شديد الخطورة .... اقضوا عليه .

دخل رجل مهيب الحجرة ، عند هذه النقطة ، وقال فى صرامة شديدة ، امتزجت بالكثير من الغضب

ـ ماذا يحدث هنا ؟!...

صاح (هشام) فى انفعـــال ، وهو يلوِّح بسبابته فى وجه (حاتم) المذعور :

ـ هذا ليس شخصًا عاديًّا ... إنه جاسوس ... جاسوس من طراز متطوِّر .

ردَّ (حاتم) ذاهلاً ومستنكرًا :

ـ جاسوس ؟!..

نقل ذلك المهيب نظره ، بنفس الصرامة ، إلى (حاتم) ، وبدا وكأنه قد تفحصه ودرسه بنظرة واحدة خبيرة ، وهو يقول فى غضب :

ـ وهل نطلق النار على الجواسيس هنا ؟!...

هتف (هشام) متراجعًا :

ـ إنه ليس جاسوساً عاديًّا .

قال المهيب ، فى صرامة شديدة للغاية :

ـ هذا أدعى للحفاظ على حياته .

ونقل بصره إلى (هشام) ثانية ، مستطردًا :

ـ على الأقل لمعرفة لحساب من يعمل .

ارتبك (هشام) ، وهو يقول :

ـ ولكنه ...

قاطعه المهيب ، فى صرامة قاسية :

ـ هذا ما تعلمتموه ... أليس كذلك ؟!..

أومأ (هشام) برأسه إيجابًا ، وبدا منكسرًا لحظات ، ثم لم يلبث أن انتفض فجأة ، هاتفًا فى حدة :

ـ وجوده هنا شديد الخطورة .

شد المهيب قامته ، وهو يسأله :

ـ أليس كل من تستجوبه كذلك ؟!.. هتف (هشام) ، وهو يلوِّح بسبابته فى وجه (حاتم) ، فى انفعال شديد :

ـ لا ... ليسوا كذلك ... هذا خارق

ارتفع حاجبا المهيب فى دهشة بالغة ، وهو يردِّد مستنكرًا :

ـ خارق ؟!..

ثم عاد حاجباه ينعقدان ، وهو يردف فى صرامة :

ـ هل أصابك خلل ما أيها العقيد ؟!..

هـــزَّ (هشام) رأسه نفيًا فى حدة ، وهو يجيب :

ـ سل الحاضرين يا سيادة اللواء ... لقد صد لكمة (فرج) فى سهولة مخيفة ، وعندما حاولت أنا أن ألكمه ، اصطدمت قبضتى براحته ، فشعرت وكأننى أضرب جدارًا من الصلب ، حتى أن قبضتى ما زالت تؤلمنى ، حتى هذه اللحظة .

نقل المهيب بصره بين وجوه الجميع لحظات ، فأومأ الضخم برأسه إيجابًا ، وكأنه يؤيد أقوال (هشام) ، فى حين بدت الحيرة على وجوه الباقين ، لأنهم لم يشاهدوا ما يرويه هذا الاخير ..

أما (حاتم) فقد بدا منكمشًا مذعورًا ، على نحـــو لا يتناسب أبدًا مع ما يرويه (هشام) ويؤيده الضخم ، فتفرسه المهيب لحظات فى صمت ، ثم قال فى لهجة آمرة صارمة :

ـ فليغادر الجميع الحجرة ، ولتبق هنا يا سيادة العقيد ، حتى نستجوب هذا الرجل معًا .

اطاعه الباقون على الفور ، وعلى نحو يوحى بمدى سلطاته فى المكان ، وكان الضخم أوَّل من هرع خارجًا ، فى حين هتف (هشام) مستنكرًا :

ـ هل سنبقى معه وحدنا ؟!..

أجابه المهيب فى صرامة ، وهو يجلس على مقعد قريب من (حاتم) :

ـ نعم ...

تحسَّس (هشـــام) مسدسه فى توتر شديد ، وهـــو يراقب الموقف فى حذر عصبى ، فى حين التفت المهيب إلى (حاتم) ، وقال فى هدوء عجيب بعد كل هذا القدر من الانفعالات :

ـ تقبَّل اعتذارنا ، لو ان بعضنا أساء إليك هنا .

غمغم (حاتم) فى حذر :

ـ أنا لم أفعل شيئًا .

ابتسم المهيب ، وقال :

ـ وأحدٌ لم يوجه إليك أية اتهامات .

اعتدل (حاتم) ، وهو يقول مستنكرًا :

ـ حقًا ؟!.. لقد اتهمتمونى بالارهاب ، والجنون ، والكذب ، والتجسس ، فى غضون ساعات قليلة ، فماذا تبقى ؟!...

ضحك المهيب ، مجيبًا :

ـ الكثير ...

ثم مد يده إليه ، قائلاً :

ـ اللواء (سامى رفعت) .

صافحه (حاتم) فى حذر ، وهو يغمغم :

ـ وأنا (حاتم الـ...)

قاطعه اللواء بابتسامة عريضة :

ـ الاسم الاولّ يكفينى .

لم يرق ما يحدث للعقيد (هشام حمزة) ، فاندفع يقول فى حدة :

ـ سيادة اللواء ... هذا الرجل يحمل بطاقة رقم قومى مزوَّرة بإتقان مذهل ، يحتاج إلى تكنولوجيا عالية ، وتقنية يستحيل أن يمتلكها رجل واحد .

بدا الاهتمام على وجه اللواء ، وهو يسأل :

ـ حقًا ؟!...

واستدار مع تساؤله إلى (حاتم) ، الذى هــزَّ رأسه فى خوف ، قائلاً :

ـ أقسم أننى أجهل كيف حدث هذا .

صاح فيه (هشام) :

ـ كما تجهل كيف اكتسب جسدك هذه القوة .

أجابه (حاتم) فى سرعة ، وحيرته تتقاطر مع كلماته :

ـ بالضبط .

نقل اللواء (سامى) بصره بينهما فى صمت وشك ، ثم اعتدل فى مجلسه ، واستعاد مهابته الشديدة ، وهو يقول :

ــ اريد ان أسمع القصة ، من بدايتها ..

وقبل ان ينطق احدهما بحرف واحد ، ارتفع رنين هاتف اللواء ، فالتقطه فى حركة سريعة ، وهو يقول فى صرامة :

ــ ماذا هناك ؟!..

لم يكد نطقها يكتمل ، حتى ارتفع حاجباه عن آخرهما ، ووثب او كاد من مقعده ، وهو يهتف :

ــ مستحيل !!..

وكان من الواضح أنه لم يتلق خبرًا ، وإنما صدمة ...

صدمة قوية ...

للغاية ...

* * *

تراجع ذلك الطبيب الشرعى الشاب فى توتر بالغ ، مع الانفعال الغاضب ، الذى كسا وجه (رشدى) ، وهو يسأله فى حدة :

ــ لماذا مستحيل ؟!...

لوَّح الطبيب الشاب بيده ، قائلاً فى عصبية :

ــ لأن هذا ليس من حقى .

هبَّ (رشدى) من مقعده ، وهو يقول فى حدة :

ــ أنت تعلم أنها جريمة اغتيال سياسى .

هتف الطبيب الشاب :

ــ وهذا يجعل موقفى اكثر صعوبة .

بدا (رشدى) وكأنه سيهاجمه ، وهو يصيح فيه ، فى غضب مستنكرًا :

ــ أكثر صعوبة ؟!

تراجع الطبيب الشاب فى خوف ، وهو يقول ، ملوِّحًا بذراعيه :

ــ اهدأ يا سيد (رشدى) ... أرجوك ... دعنى اوضِّح لك .

بدا وجه (رشدى) المحتقن ، وبدت قبضته المضمومة ، وكأنهما تحملان تهديدًا عنيفًا ، إلا أنه لم يلبث أن سيطر على أعصابه ، وعاود الجلوس ، وهو يقول فى عصبية :

ــ كلى آذان صاغية .

ازدرد الطبيب الشاب لعــابه ، قبل أن يقول ، والتوتر يتقاطر من كل حرف من كلماته :

ـ أولاً : تقرير وفـــاة (أمين ضياء) صدر بالفعل ، وبتوقيع كبير خبراء الطب الشرعى .

قال (رشدى) ، محاولاً تمالك أعصابه :

ـ ولكنك كشفت أمرًا جديدًا .

هتف الطبيب الشاب ، فى لهجة أقرب إلى البكاء :

ـ بأية صفة ؟!

لم يفهم (رشدى) ما يعنيه ، ولقد بدا هذا واضحًا ، فى نظرة التساؤل العصبية المطلة من عينيه الحائرتين ، فتابع الطبيب الشاب مفسرًا :

ـ كل ما فعلناه هنا تم على نحـــو ودى تمامًا ، دون أية مكاتبات رسمية ، أو تكليف من النائب العام ، وهذا لا يمنح ما فعلناه أية صفة رسمية ، فكيف والحـــال هكذا يمكننى أن أصدر تقريرًا رسميًا .

بدا كلامه شديد الإقناع ، حتى أن (رشدى) تراجع فى مقعده ، وبدا حائراً بعض الوقت ، قبل أن يقول فى حماس مفاجئ :

ـ وماذا لو أنك أبديت بعض الشكوك ؟!

اتسعت عينا الطبيب الشاب فى هلع ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـ شكوك فى ماذا ؟ وفى من ؟!... هل تريد تدمير مستقبلى ؟!

انعقد حاجبا (رشدى) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ بل أريد أن أصنع مستقبلك .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى حزم :

ـ ستكون الطبيب الشرعى ، الذى كشف اكبر مؤامرة سياسية فى (مصر) .

اتسعت عينا الطبيب الشاب ، وهو يحدِّق فيه بدهشة ، قبل أن يقول فى تردد :

ـ هل تظن هذا ؟!

عاد (رشدى) يعتدل ، وهو يقول بنفس الحزم :

ـ بل أنا واثق منه .

بدت علامات تفكير متوتر ، على وجه الطبيب الشاب لبضع لحظات ، قبل أن يهز رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ لا ... لست أظننى أستطيع هذا

بدا الغضب على وجه (رشدى) ، فاستدرك الطبيب الشاب فى سرعة :

ـ ولكن هناك وسيلة أخرى .

سأله (رشدى) فى سرعة ولهفة :

ـ وما هى ؟!

مال الطبيب الشاب نحـوه ، وهو يقـول فى خفوت ، وكأنه يخشى أن يسمعه أحد :

ـ بلاغ .

اندهش (رشدى) للفكرة ، وتساءل فى أعماقه ، كيف لم يخطر هذا بباله ، فى حين تابع الطبيب الشاب فى حماس هامس :

ـ بلاغ من مجهول ، إلى النائب العام ، يشير إلى أن (أمين ضياء) تم اغتياله ، قبل حادث القطار ... هذا سيدفعهم إلى طلب إعادة فحص الجثة على الأقل ، و ....

قاطعه (رشدى) ، وهو يهب من مقعده ، صائحًا فى حماس :

ـ بالضبط !..

وتألقت عيناه فى شدة ...

فقد كان هذا يعنى أنه قد التقط بالفعل طرف الخيط ...

الخيط الذى سيقوده إلى كشف الحقيقة ...

حتمًا ...

* * *

« ماذا حدث بالضبط ؟!... »

ألقى (هشام حمزة) السؤال نفسه ، الذى لم يجرؤ (حاتم) على نطقه ، وهو يحدِّق فى اللواء (سامى) فى توتر ، فانعقد حاجبا هذا الأخير ، وهو يقول عبر الهاتف ، فى صرامة تتناقض مع دهشته الاولى :

ـ وكيف علمت سيادتكم بهذا الأمر ؟!..

ازداد انعقـــاد حاجبيـــه ، وهو يستمع إلى محدثه فى غضب واضح ، قبل أن يقول ، وقد تضاعفت صرامته :

ـ معذرة يا سيِّدى ، مع احترامى لرفيع منصبكم ، إلا أنه ليس من المفترض أن أتلقى أوامرى منكم .

ارتفـــع صـــوت محدثه الغاضـــب ، دون أن يتبيَّن (حاتم) أو (هشام) ما يقال ، وإن بدت ملامح (هشام) أكثر فضولاً منها قلقًا ، ولكن اللواء (سامى) بدا فقط غاضبًا صارمًا ، وهو يقول :

ـ إننى أتلقى أوامرى فقط من وزير الداخلية ، وأعلم جيداً مدى علاقتكم به ، فلو أمرنى ، سأتنحى عن الموقف كله ، وربما أتقدَّم باستقالتى أيضًا ، وحتى هذا الحين ، سيسير كل شىء كما يسير .

قالها ، وأنهى المحادثة فى عنف واضح ، قبل أن يلتفت إلى (هشام) ، قائلاً فى صرامة شديدة الغضب :

ـ كيف علم ؟!

بدا صوت (هشام) شديد التوتر ، وهو يتساءل فى خفوت :

ـ علم بماذا ؟!

صاح فيه اللواء (سامى) فى حدة :

ـ كيف علم المسئول بما يدور هنا ؟!

امتقع وجه (هشام) ، وارتبك على نحو ملحوظ ، وهو يقول :

ـ رباه !...هل ...

اندفع اللواء فجأة نحو (هشام) ، وجذبه من سترته فى عنف ، وهو يصرخ فى وجهه ، مكررًا :

ـ كيف علم ؟!

هتف (هشام) محاولاً التملُّص منه :

ـ وكيف لى ان أعلم ؟!

انكمش (حاتم) فى مقعده ، وهو يتابع ما يحدث فى توتر ، فى حين واصل اللواء صراخه ، قائلاً :

ـ لقد دخلت مكتبك هذا ، دون أى ترتيب مسبق ... فقط مع صرخاتك وأنت تطالب طاقم الامن بالقضاء على هذا الرجل ، ولم يمض على دخولى هنا دقائق ، ولكن ذلك المسئول يتصل بهاتفى مباشرة ، ويطالبنى بعدم التدخل فى هذه القضية ، مع انه ، مع كامل الاحترام لمنصبه ، ليست له أية صلاحيات أمنية ، على أى مستوى ، فكيف علم ، ولماذا يقدم على هـــذه الحماقة ، التى تشف عن توتر شديد .

انفرجت شفتا (هشام) ليقول شيئًا ما ، لولا أن اندفع (حاتم) قائلاً فى توتر :

ـ أنه قتل (أمين ضياء) .

اتسعت عينا (هشام) فى ارتيـــاع ، فى حيـــن انعقد حاجبا اللواء (سامى) فى شدة ، ومضت لحظات ، قبل أن يلتفت إلى (حاتم) فى بطء ، متسائلاً فيما يشبه الصدمة :

ـ قتل من ؟!

كان (حاتم) يدرك أن ما يفعله هـــو قمة الحماقة ، وعلى الرغم من هذا ، لم يمكنه كبح نفسه من ان يندفع ، قائلاً :

ـ لقد أصدر أوامره باغتيـــال (أمين ضياء) ، قبل أن يعلن تلك المستندات ، التى حصـــل عليهـــا ، والتى ستدمر مستقبله السياسى تمامًا ، و ...

تلك النظرة الذاهلة ، المستنكرة ، التى حدَّجه بها (سامى) ، جعلته يبتر عبارته دفعة واحدة ، ويعاود الانكماش فى مقعده ، قائلاً :

ـ ولست أعلم كيف عرفت كل هذا !!!

تنفس (هشام) الصعداء ، مع العبارة الاخيرة ، ثم هتف فى عصبية شديدة :

ـ هل رأيت يا سيادة اللـــواء ؟!... هـــذا الجنون يتكرر منذ وصوله إلى هنا !!..

التفت إليه اللواء ، وقال فى صرامة قاسية :

ـ ولهذا أردت أن تقتله ؟!

ارتبك (هشام) ، واضطرب ، وامتقع وجهه فى شدة ، وبدا كتلميذ خائب ، ضبطه أستاذه فى وضع مخل ...

ولم يفت هذا عن عينى اللواء ، الذى رمقه فى بطء ، ثم قال فى صرامة :

ـ سأتولى هذه القضية ، من هذه النقطة .

اتسعت عينا (هشام) فى هلع ، وهتف :

ـ ولكن ...

قاطعه اللواء ، فى صرامة شديدة :

ـ ما لم أتلقَّ أوامر أخرى .

ثم التفت إلى (حاتم) ، وقال فى لهجة هادئة ، لا تتفق مع صرامته السابقة :

ـ اصحبنىَ يا سيد (حاتم) .

القِى (حاتم) نظرة متوترة على (هشام) ، ثم لحق باللواء (سامى) ، ولم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى اختطف (هشام)

هاتفه اختطافًا ، وطلب رقمًا بأصابع مرتجفة ، ولم يكد يسمع صوت محدثه ، حتى هتف بكل انفعاله وشحوبه :

ـ سيِّدى .... الأمور تفلت من أيدينا ، وعلينا أن نتحرَّك فى سرعة ، وإلا خسرنا كل شىء ... ولدىّ حل سريع ...خطير ومجازف ، ولكنه سريع ، وحاسم ... تماما .

وعندما نطـق عبارته الأخيرة ، كـان جسده كله ينتفض بالغضب ....

كل الغضب .

* * *

6 ــ اختفـــاء ...

بدت زوجة (حاتم) شديدة العصبية ، وهى تقف فى مواجهة ضابط شرطة القسم ، قائلةً :

زوجى لم يعد إلى منزله ، منذ أتى إلى هنا ؛ للإبلاغ عن ... عن ...

تردَّدت طويلاً ، حائرة فيم تسمى سبب البلاغ ، حتى سألها الضابط فى ضجر :

ما اسم زوجك هذا ؟

أجابته فى سرعة وعصبية :

ـ المهندس (حاتم الـ ...)

قاطعها هاتفًا :

ـ المجنون ؟!

تراجعت كالمصعوقة ، وردَّدت خلفه ، فى ذهول مستنكرة :

ـ مجنون ؟!

بدا شديد الانفعال ، وهو يقول :

ـ لقد أتى إلى هنا بالفعل ، ليبلغ عن حادث جنونى تمامًا ، ولقد صعد به (رشدى) باشا إلى مكتبه ، و ....

حان دورها لتقاطعه هى ، مستفسرة فى توتر :

ـ (رشدى باشا) ؟!

أشار بسبَّابته إلى أعلى ، قائلاً :

ـ المقدَّم (رشدى عبد الهادى) ... ضابط أمن الدولة ... لقد صعد به إلى مكتبه ، حتى جاء العقيد (هشام حمزة) ، وتسلمه منه .

هوى قلبها بين قدميها ، وهى تغمغم ، فى صوت شديد الارتجاف :

ـ أمن دولة ؟!... لماذا ؟!.. ماذا فعل (حاتم) بالضبط ؟!

مال الضابط نحوها ، وانعقد حاجباه فى صرامة شديدة ، وهو يجيب :

ـ زوجك يا سيِّدتى متهم بتهمة بالغة الخطورة .

كاد قلبها يتوقف ، وهى تسأله بصوت مبحوح ، فى صعوبة شديدة :

ـ أية تهمة ؟!

مال نحوها أكثر ، وحمل صوته صرامة قاسية ، وهو يجيب ، بلهجة من يوجِّه إليها الاتهام شخصيًا :

ـ الارهاب .

انطلقت من حلقهـــا ، على الرغم منهـــا ، شهقة قوية ، وهى تتراجع فى حركة حادة عنيفة ، هاتفة فى ذعر مستنكرة :

ـ إرهاب ؟!... (حاتم) ؟!

اعتدل الضابط فى صرامة أكثر قسوة ، وهو يقول :

ـ أظنهم الآن يجبرونه على الاعتراف هناك ... فى أمن الدولة .

امتقع وجهها فى شدة ، وتراجعت أكثر ، وبدت لحظات وكأنها ستفقد الوعى ، من شدة الذعر ، إلا أنها لم تلبث أن اعتدلت ، واستعادت حزمهـــا فى سرعة ، وتنحنحت ؛ لتطرد عنها بعض توترها ، وهى تقول :

ـ وأين مبنى أمن الدولة هذا ؟!

حدَّق فيها الضابط لحظة فى دهشة ، وتبخَّرت صرامته كلها دفعة واحدة ، وهو يغمغم :

ـ هل ستذهبين .....؟!

قاطعته فى حزم ، يشف عن قوة شخصيتها :

ـ أين هو ؟!

بدا صوته أكثر خضوعًا ، وهو يجيبها :

ـ فى مدينة (نصر) .

ثم عاد يسألها ، فى قلق ليس له ما يبرره :

ـ هل ستذهبين إليه ؟!

شدَّت قامتها فى اعتداد ، وهى تجيب فى حزم :

ـ بالطبع .

قالتها ، واستدارت لتنصرف ، ولكنها توقفَت لحظة ، التفتت خلالها إلى الضابط ؛ لتكمل :

ـ إنه زوجى .

نطقتها بكل الحزم ...

كل كل الحزم ...

* * *

دقائق طويلة مضت ، واللواء (سامى) متراجع فى مقعده ، يتطلَّع إلى (حاتم) فى صمت ، حتى أن هذا الأخير شعر بالتوتر يكاد يلتهمه ، فهتف فى عصبية :

ـ وماذا بعد ؟!

واصل اللواء (سامى) صمته بضع لحظات ، قبل أن يعتدل فى حركة مفاجئة ، ويقول فى اهتمام مباغت :

ـ حالتك كلها عجيبة أيها المهندس .

زفر (حاتم) فى عصبية ، وتراجع بدوره فى مقعده ، وهو يغمغم :

ـ أعلم هذا .

واصل اللواء ، وكأنه لم يسمعه :

ـ لقد بدأت ببلاغ عجيب ، تؤكِّد فيه ، وبمنتهى الثقة ، ان ما اعلنته الدولة فى بيان رسمى ، عن حادث القطار ، ليس صحيحًا ، وأنه هناك جريمة اغتيال سياسى خلف هذا ، وبعدها راحت المفاجآت تتوالى .

غمغم (حاتم) فى عصبية :

ـ لم يكن هذا بإرادتى .

مرة أخرى ، تابع اللواء ، متجاهلاً تعليقه :

ـ بطاقة رقم قومى مزوَّرة بإتقان مذهل ، يتجاوز حدود قدرات أى مزوِّر منفرد ، مهما بلغت براعته ، وبيانات لا وجود لها عبر شبكة المعلومات كلها .... بصمات غير مسجلة ، وجه غير معروف ... وهذا ليس كل شىء .

صمت (حاتم) هذه المرة ، وكأنما أدرك عدم جدوى الحديث ، فى حين استطرد اللواء ، فى مزيج من الاهتمام والحيرة :

ـ أضف إلى هذا تلك التطوُّرات غير الطبيعية ، فى التعامل مع حالتك بالذات ... من القسم ، إلى المقدَّم (رشدى عبد الهادى) ، وهو أحد أكفأ وأنزه ضباط أمن الدولة ، ثم التدخل المفاجئ للعقيد (هشام حمزة) ، وهو ضابط ليس فوق مستوى الشبهات ، وعنفه الشديد مع عصبيته البالغة ، يشيران إلى وقوع ضغط شديد عليه ، من جهة أعلى .

صمت عند هذه اللحظة ، ومال نحو (حاتم) ، قائلاً فى لهجة مختلة :

ـ وهى ذلك المسئول على الارجح .

تطلَّع إليه (حاتم) لحظة فى توتر ، و ....

وفجأة ، تقمَّصته تلك الحالة العجيبة ...

فجأة ، شعر أنه فى مكان آخر ...

وزمن آخر ....

كان يجلس أمام (هولوفيزيون) كبير ، فى صالة منزله ، يتابع تلك الأخبار ثلاثية الأبعاد ، والتى تروى تفاصيل المؤامرة ، عبر برنامج (ذاكرة التاريخ) الاسبوعى ، و ....

« لماذا لم يرد اسمك فى القضية ؟!... »

ألقى السؤال فجأة على اللواء (سامى) ، فتراجع هذا الأخير فى دهشة بالغة ، وهو يتساءل :

ـ أية قضية ؟!...

اعتدل (حاتم) ، وشمله حماس مباغت ، وهو يجيب :

ـ قضـــية حادث القطار ... لقد صار (رشدى عبد الهادى) بعدها شخصية شهيرة ، وبعد سنوات قليلة ، تولى منصب وزير

الأمن ، وذلك المسئول حوكم وأدين ، مع عدد كبير من صغار المسئولين ، والمعاونين ، ورجال الأمن ، فيما عرف بأنه أكبر مؤامرة سياسية جنائية ، فى تاريخ (مصر) كلها ، حتى أن نظم الأمن ومفاهيمه ، وحتى القوانين التى تحكمه ، تغيَّرت كلها بعدها .

صمت لحظة ، بدا خلالها شديد الحيرة ، وكأنه لم يفهم حرفاً واحداً مما قاله ، ثم غمغم :

ــ ولكن اسمك لم يرد .

كان اللواء (سامى) يحدِّق فيه بدهشة لا محدودة ، وقد ارتفع حاجباه عن آخرهما ، على نحو منح وجهه سحنة عجيبة ، أصابت (حاتم) بشىء من التوتر ، جعله يضيف ، وهو ينكمش فى مقعده :

ــ ماذا قلت ؟!

أجابه اللواء ، فى بطء شديد :

ــ كنت سألقى عليك السؤال نفسه .

امتزجت حيرة (حاتم) بحالة من الذعر والاضطراب ، وهو يتمتم :

ــ ولكننى لست أدرى ؟... هذا يقفز إلى ذهنى بغتة .... كأننى ... كأننى ..

اتسعت عيناه فى ذعر عجيب ، وهو يضيف ، فى صوت بالغ الخفوت :

ــ كأننى على اتصال بروح ، من زمن آخر .

حدَّق فيه اللواء لحظات ، فى دهشة بلا حدود ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه فى قوة ، وكأنما ينفض عنه دهشته ، واعتدل يقول فى حزم :

ــ أية روح ، من اى زمن ، لم يكن بإمكانها أن تمنحك هذه البطاقة المزوَّرة .

قالها ، ونهض من خلف مكتبه فى حركة حادة ، أصابت (حاتم) برجفة محدودة ، واتجه نحو نافذة حجرته ، وأزاح ستائرها ، وتطلَّع إلى المبانى عبر الشارع ، وإلى ألوان الشفق خلفها ، وبدا من الواضح أن الفجر ينبلج ، فراقبه فى صمت استغرق ما يقرب من دقيقة ، قبل أن يقول :

ــ اسمع أيها المهندس ... هذا لو أنك بالفعل مهندس ... أنا رجل واقعى ، لا يؤمن بالخرافات والخزعبلات ، والاتصال بالارواح ليس جزءاً من اهتمامى أو قناعاتى .

صمت لحظة أخرى ، ثم التفت إليه فى حدة ، مستطردًا فى صرامة ، هى أقرب إلى الغضب :

ـ هناك حتمًا تفسير منطقى لكل هذا .

فى الظـــروف الطبيعيـــة ، كـــان المتهم سيرتعد ، أو يفزع ، أو يضطرب ، أو حتى يعترف ....

ولكن (حاتم) لم يمر بأى من هذا .... .

لقد سأل ، بكل الاهتمام والتوتر واللهفة :

ـ مثل ماذا ؟!

وفى نفس اللحظة ، التى حدَّق فيها اللواء فيه ، فى دهشة مستنكرة متسائلة ، كان هناك أمر شديد الخطورة ، يحدث مع نسمات الفجر الأولى ...

هناك ...

فى المشرحة ...

* * *

لم يفارق التوتر الشديد ذلك الطبيب الشرعى الشاب لحظة واحدة ، منذ غادر (رشدى عبد الهادى) المشرحة ، مع فكرة تقديم بلاغ إلى النائب العام ....

كان يدرك أن الأمر لن يكون بسيطًا ....

وأن ما يحدث هو أمر كبير ...

كبير جدًّا ....

جدًّا ...

كبير ، حتى أنه يتجاوزه بألف مرة ....

على الأقل ...

إنه اغتيال سياسى ، يحدث عبر كارثة رهيبة ، وعلى نحو لم تشهده (مصر) من قبل ، فى تاريخها الحديث على الأقل ...

أو ربما حدث ، ولكن أحداً لم يعلم به ...

تمامًا مثلما حدث هـــذه المـــرة ، ولكن أحدًا أيامها لم يشك ، أو يبحث ، أو يعيد التحقيق فى الأمر ....

وفى كل الأحوال ، فهى سابقة غاية فى الخطورة ، تورَّط فيها حتمًا مسئولون كبار ، وربما قيادات أمنية كبيرة ، تتجاوز رشدى نفسه بكثير ....

لهذا كان رجل أمن الدولة متوترًا ....

ولهذا كان يبحث عن حل ...

لا ريب فى أنه هناك قيادات له ، متورِّطة فى الامر ، وكلها لن تسمح بكشفه قط ....

مهما كانت الأسباب ....

ومهما كان الثمن ...

وهو مجرَّد طبيب شاب ، لم يواجه مثل هذه الأمور من قبل قط ....

بل ، ولم يتخيَّل حتى أن يواجهها ...

لقد تربى مثل كل شباب (مصر) ، وسط شعب يحمل خوفًا غريزيًا مـن رجـال الأمـن والمسئولين ، أيًّا كانـت مناصبهم أو مواقعهم ....

إنه مازال ، على الرغم من عمله ، يخشى رؤية شرطى عادى ، فماذا عن مواجهته لقيادات أمنية ....؟!

ولقد أخطأ كثيرًا ، عندما وافق (رشدى) على ما طلبه ، وأعاد فحص جثة (أمين ضياء) ..... .

لم يكن له أن يفعل هذا بصفة شخصية ابدأ ...

من المحتمل إذن أن يتورَّط فى الأمر ، عندما يتم إبلاغ النائب العام ...

يا إلهى !!.. ليس من المحتمل ... بل من المؤكد ....

أصابه هلع شديد ، عندما بلغ بتفكيره هذه النقطة ، وهبَّ من مقعده فى ارتياع ، وقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحوِّل أفكاره إلى صوت مسموع ، قائلاً لنفسه ، فى اضطراب شديد :

ـ لن تكون هناك وسيلة للابلاغ ، ما لم يتم فحص جثة (أمين ضياء) مرة أخرى ؛ لتحديد سبب الوفاة ... وحتى لو لم يبلغهم (رشدى) بأننا قد فعلناها ، فالطبيب الذى سيعيد فحص الجثة سيكشف الامر حتمًا ... يا إلهى !... يا إلهى !..

بدأ رعبه يرسم له سيناريو مخيفًا للأحداث القادمة ...

طبيب شرعى جديد يفحص الجثة ، ويؤكد أنه قد تم فحص هذه المنطقة من قبل ، ثم يعودون إلى السجلات ، ويعثرون على اسمه ، كطبيب نوبتجى ، فى نفس الفترة التى تم فيها الفحص السابق ، و ...

وينتقمون منه ...

و ....

تجمَّدت أفكاره وكلماته عند هذه النقطة ، ورسم الهلع ملامحه على كل خلجــة من خلجاته ، وراح جسده ينتفض انتفاضات متوالية ، وهو يهتف بالتومرجى المناوب :

- (سيد) .... (سيد) ...

لم يكن يدرى لمــاذا ينـاديه ، ولكنــه كــان يرغـب بشـدة فى الشعور بأنه ليس وحده ، فى تلك اللحظات الاولى فى الفجر ، والتى تبعث فى المعتاد نسمات النوم ، فى أية جفون مجهدة ، فاندفع خارجًا ، وهــو يواصل النــداء ، فى عصـبية شديدة للغــاية :

- أين أنت يا (سيد) ؟.. أيها الـ ....

تجمدَّت قدماه ، واتسعت عيناه على نحو فاق الطبيعى ، وهو يحدِّق فى جسد التومرجى الساقط أرضًا ، والتقـط أنفـه تلك الرائحة النفَّاذة ، وهو يصرخ :

- ماذا يحدث هنا ؟!...

تنامى إلى مسامعه وقع أقدام تتحرَّك نحوه فى خفه ، فالتفت نحوها ، وهو يطلق شهقة رعب ، ووقع بصره على رجل متشح بالسواد ، يندفع نحوه ، وهو يخفى وجهه بمنديل كبير ، يمسكه بيسراه ، فى حين تحمل يمناه علبة من الصفيح ، ضغط فوهتها ، فاندفع منها رذاذ ، حمل تلك الرائحة النفاَّذة فى قوة ....

وعلى الرغم منه ، ومع أثر المفاجأة ، استنشق الكثير من ذلك الرذاذ القوى ...

الكثير جدًّا ....

ولقد حاول أن يطلق صرخة ما ....

حاول ...

وحاول ...

وحاول ...

ثم انهارت محاولته دفعة واحدة ...

وأظلم كل شىء من حوله ...

تمامًا ....

* * *

« هناك حتمًا تفسير منطقى لكل هذا ... »

نطقها اللواء (سامى) للمرة العاشرة ، وهــو يتطلّع إلى السماء ، التى أضاءتها أشــعة الشمس منــذ لحظات ، فتمتم (حاتم) ، وهو يفرك عينيه فى إرهاق شديد ، ويقاوم رغبة مسعورة فى النوم :

ـ إننى أحاول البحث عنه ، منذ راودتنى تلك الذكريات العجيبة .

التفت إليه (سامى) ، وهو يقول فى توتر ملحوظ :

ـ الأمر لا يقتصر على مجرّد ذكريات .

فرك عينيه بدوره فى إرهاق مماثل ، قبل أن يتابع فى توتر أكثر :

ـ هناك بطاقة رقم قومى ، مزوَّرة باتقان مذهل ، وبصمات ليس لها مرجع .

صمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حدة :

ـ وليس هناك أقارب ، يمكن الرجوع إليهم ؛ لتأكيد هويتك حتى ..

ارتفع حاجبا (حاتم) ، والعبارة تخترق رأسه ....

ليس هناك أقارب !!...

كيف هذا ؟!..

لا أشقاء ....

أو أعمام ....

أو أخوال ....

أو حتى أصدقاء قدامى ...

لا أحد على الإطلاق !!...

إنه لا يذكر شخصًا واحدًا ، يمكن أن يذكره لهم !!..

شخص واحد ، يمكن الرجوع إليه ؛ لتأكيد هويته ....

« زوجتى .... »

هتف بالكلمة فى لهفــة ، فانعقد حاجبا اللواء ، وهــو يعود للجلوس خلف مكتبه ، مرددًا :

ـ زوجتك ؟!...

أجابه (حاتم) فى لهفة :

ـ نعم .... زوجتى وعائلتها ، يمكنهم تأكيد هويتى ...

تراجع اللواء فى مقعده ، وغمغم وهو يفكر :

ـ زوجتك وعائلتها ؟!...

ثم اعتدل فى حركة حادة ، مكملاً :

ـ وهل يمكنهم تحديد أى قريب أو صديق لك ؟!... هل حضر بعضهم حفل زفافك ، ويمكن الرجوع إليه ؟!...

اتسعت عينا (حاتم) ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً:

ـ كلا .

هتف به اللواء ، فى دهشة مستنكرة :

كلا ؟!.... هل تعنى أنهم قد قبلوا زواجك بابنتهم ، دون أن يعلموا شيئًا عن عائلتك أو أصدقائك .... ودون أن يحضر حفل زفافك شخص واحد من طرفك ؟!.... أى زواج هذا ؟!...

غمغم (حاتم) ، وهو ينكمش أكثر فى مقعده ، وصوته يزداد خفوتًا :

ـ لقد حضر أصدقاء وزملاء العمل .

انعقد حاجبا اللواء ، وهو يقول :

ـ العمل ، الذى التحقت به ، ببطاقة رقم قومى زائفة ؟!...

ارتبك (حاتم) ، وغمغم ، وكأنه يحدِّث نفسه :

ـ ولكننى أجيده بشهادة الجميع .... إنه مهنتى الأصلية ، تحت أى مقياس.

تراجع اللواء فى مقعده ، وقال فى صرامة :

ـ هذا سيحتاج إلى شهادة زملاء عملك .

رفع (حاتم) عينيه إليه ، قائلاً فى لهفة :

ـ كلهم سيؤكدون هذا .

تنهَّد اللواء (سامى) ، وهو يقول :

ـ ولكن أحداً منهم لن يمكنه إرشادنا إلى قريب أو صديق قديم ، يخبرنا عن ماضيك ...

الماضى ؟!...

كيف لم يخطر بباله هذا قط ؟!...

إنه لا يذكر بالفعل شيئًا عن ماضيه ....

أى شىء ...

وهذا أمر غير طبيعى ....

على الإطلاق ....

انتزعه من أفكاره رنين مفاجئ لهاتف اللواء ، الذى التقطه فى سرعة ، وهو يقول فى توتر :

ــ ماذا هناك ، فى هذه الساعة المبكِّرة ؟!...

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستمع إلى محدثة ، ثم قال فى صرامة شديدة التوتر :

ــ ارسل عربة المعمل الجنائى فوراً ، وسأتى خلال لحظات .

أنهى المحادثة فى حدة ، والتقت عيناه بعينى (حاتم) القلقتين المتسائلتين ، فقال ، وهو ينهض فى توتر :

ــ جثة (أمين ضياء) اختفت من مشرحة (زينهم) .... ودون أدنى أثر .

وكانت مفاجأة جديدة ....

وعنيفة ...

للغاية .

* * *

7 ــ المــؤامـرة ....

لم يكن جسد الطبيب الشرعى الشاب ، قد توقَّف بعد عن الارتجاف ، عندما وصل (رشدى عبد الهادى) مندفعًا إلى المشرحة ، وهو يهتف به :

ــ كيف حدث هذا ؟!

رفع الطبيب عينيه إليه فى بؤس عجيب ، وهو يجيب :

ــ لست ادرى !!.... لقد هاجمنى شخص مقنَّع ، وأفقدنى الوعى ، و ....

قاطعه (رشدى) فى عصبية :

ــ هل بلغوا هذا الحد ؟!

بدا صوت الطبيب الشاب أقرب إلى البكاء ، وهو يقول :

ــ لقد حذَّرتك .

انعقد حاجبا (رشدى) فى ضيق ، وهو يقول :

ــ هل سرقوا جثة (أمين ضياء) وحدها ؟!

أومأ الطبيب برأسه إيجابًا فى يأس ، فقال (رشدى) فى غضب :

ــ من الواضح أنهم كانوا من العجلة ، بحيث لم يهتموا حتى بإخفاء أو تمويه هدفهم الحقيقى .

« ماذا تفعل هنا ؟! .... »

اخترق ذلك الصوت الصارم الموقف فجأة ، فاتسعت عينا الطبيب الشاب فى ذعر ، فى حين التفت (رشدى) إلى مصدره فى حركة حادة ، ليقع بصره على (هشام حمزة) ، الذى تألقت عيناه فى ظفر شامت ، وهو يضيف :

ــ هذا التحقيق يخصنى وحدى .

ثم عقد ساعديه أمام صدره فى تحد ، مكملاً :

القيادة السياسية كلفتنى إياه .

رمقه (رشدى) بنظرة مقت ، لم يحاول تجميلها وهو يقول :

ــ تسلسل طبيعى للمؤامرة .

هـزَّ (هشام) كتفيه ، فى استهتار واثق ، قائلاً :

ـ هذا ما يصوِّره لك خيالك المريض، ولكن حتى هذا ، لا يمنحك حق التواجد هنا .

اقترب (رشدى) منه ، وبادله نظرة التحدى ، قائلاً :

ـ كلانا يعلم أن جثة (أمين ضياء) تمت سرقتها ، لإخفاء اغتياله المتعمَّد .

عاد (هشام) يهزُّ كتفيه ، قائلاً :

ـ التحقيقات لم تسفر عن شىء بعد .

قال (رشدى) فى حدة :

ـ أية تحقيقات ؟!... التى تجريها أنت ؟!

انعقد حاجبا (هشام) فى غضب واضح ، وقال فى حدة مماثلة :

ـ قلت لك ... إنه لا يحق لك التواجد هنا ، خلال هذا التحقيق ، الذى يهم أعلى مستويات القيادة السياسية ، وإن لم ترحل فورًا ، فسأضطر إلى اتخاذ إجراء ، يتنافى وكرامة رجال الشرطة .

ساد الصمت لحظات ، وكل منهما ينظر إلى عينى الآخر ، فى تحد سافر ، قبل أن يقول (رشدى) فى بطء :

ـ سأبغ النائب العام بما لدى .

ابتسم (هشام) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ بدون جثة ؟!.... أشك أن يستمع إليك أحد .

مضت لحظة أخرى من الصمت ، ثم قال (رشدى) فى صرامة :

ـ سنرى .

قالها ، والتفت يلقى نظرة أخيرة ، على ذلك الطبيب الشرعى الشاب ، قبل أن يندفع مغادرًا المكان ...

وبعينين متألقتين ، تبعـه (هشام) ببصره ، ثم التفت إلى الطبيب الشاب ، وقال فى صرامة قاسية مخيفة :

ـ والآن استعد ، فستقص علىَّ قصة حياتك ، منذ ان عملت فى هذا المضمار ، وحتى هذه اللحظة ، دون أن تهمل تفصيلاً واحدًا ، وإلا ....

وانكمش الطبيب الشاب فى مقعده فى خوف ....

خوف شديد ....

للغاية ....

* * *

كل شيء كان يسير على ما يرام ...

السيارات الصاروخية تقطع الطرقات فى انتظام ....

الدوريات الطائرة تحفظ النظام والأمن ، وتراقب انسياب الحركة المرورية ....

وفجأة ، انحرفت تلك السيارة ، دون سابق إنذار ...

انحرافها المباغت أربك الحركة المرورية كلها ، مما تسبَّب فى أوَّل حادثة مرورية داخل المدينة ، منذ عقد كامل على الأقل ....

ولكن تلك السيارة لم تبال بما حدث ....

لقد انحرفت ؛ لتندفع نحو سيارته مباشرة ...

ولقد رآها تقترب ...

وتقترب ....

وتقترب ....

ثم اندفعت تلك السيارة القوية ، بين سيارته وتلك المهاجمة ...

و ....

« أين ذهبت ؟!... »

ألقى اللواء (سامى) سؤاله فى عصبية ، وهو يهزُّ (حاتم) فى قوة ، فانتفض هذا الأخير ، واندهش لاستغراقه فى أحلامه ، فى مثل هذه الظروف ، وهتف فى صوت عصبى :

ـ ماذا حدث ؟!...

صاح فيه اللواء (سامى) فى حدة :

ـ ماذا حـــدث ؟!... يا له من ســؤال !... أخبرك أن جثـــة (أمين ضياء) قد سُرقت من المشرحة ، فتستغرق فى النوم !!

هــزَّ (حاتم) رأسه فى قوة ، وهو يقول :

ـ لم يكن نومًا .

سأله فى غضب :

ـ ماذا كان إذن ؟!

أطلَّت حيرة واضحة ، من عينى (حاتم) وملامحه ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى .

انعقد حاجبا اللواء (سامى) فى غضب ، فاستطرد (حاتم) فى توتر :

ـ أقسم أننى لست ادرى ؟!..

وعاودته تلك الحيرة الشاردة ، وهو يكمل :

ـ إنها تبدو أشبه برؤيا ، تهاجم عقلى فجأة ، أو كذاكرة من زمن آخر ، أرسلها أحدهم إلى عقلى بوسيلة ما .

قال اللواء (سامى) فى حدة :

ـ أخبرتك أننى لا أؤمن بهذا .

قلب (حاتم) كفيه فى حيرة ، قائلاً :

ـ ومن اخبرك أننى أؤمن به ؟! .... إننى أصف لك ما يحدث لى فحسب ، ولست أحاول إقناعك به .

انعقد حاجبا اللواء (سامى) اكثر ، وهو يتأمله فى دهشة ...

أمجنون هو ؟!...

أم واهم ؟!...

أم هستيرى ؟!...

أم ....؟!

ترددً كثيرًا ، عند تلك النقطة ، قبل أن يهتف بها عقله ....

أم أنه صادق ؟!.... وأنه هناك رؤيا تأتيه لسبب ما ؟!....

احتمال ليس علميًا أو منطقيًا .... ولكنه وارد ....

لقد كشف حقيقة غامضة ، تؤيدها كل الاحداث التى تلتها ، وظهوره على الساحة قد يعنى أن ....

ولكن لا ....

ماذا عن بطاقة الرقم القومى ، المزيَّفة بإتقان ؟!...

ماذا عن تاريخه الغامض ؟!...

وماذا عن ....

قبل أن يتم تساؤله الاخير ، دوى ذلك الانفجار فجأة ...

انفجار نسف جزءًا من جدار مكتب اللواء ، ودفعه إلى الأمام ، ليرتطم ب (حاتم) ويسقط كلاهما أرضاً ....

وفى اللحظة التالية ، وقبل حتى أن يطرح أحدهما تساؤلاً واحدًا ، حدث أمر مذهل ...

إلى أقصى الحدود ....

* * *

« أريد رؤية زوجى ... »

نطقتها زوجة (حاتم) فى صرامة عصبية ، وهى تقف أمام ضابط أمن الدولة ، فى ذلك المبنى الرئيسى فى (مدينة نصر) ، فنظر إليها الضابط فى دهشة ، قبل أن يسألها ، فى صرامة اعتادها :

ــ ومن أخبرك أن زوجك هنا ؟!

أجابته فى حزم شديد العصبية :

ــ إنه هنا .

تراجع الضابط فى دهشة ، وتطلَّع إليها بضع لحظات قبل أن يسألها :

ــ سيِّدتى .... هل تعلمين أين أنت بالضبط ؟!

أجابته فى حدة ، لم تخل من التوتر الشديد :

ــ فى مبنى أمن الدولة ، الذى يخشاه كل فرد فى (مصر) ؛ لأن ما يحدث فيه ليس قانونياً ، ولأنه صورة حديثة من البوليس السياسى القديم ، الذى لم يكن يعترف بحق ، أو حرية ، أو قانون ، أو دستور .... أعلم جيدًا أين أنا ، وعلى الرغم من اننى أتمتع بكامل قواى العقلية ، إلا أننى لا اخشاكم .

ارتفع حاجبا الضابط فى دهشة عارمة ، وتراجع كالمصدوم ، فى حين انخفض صوتها هى ، وهى تتابع فى مرارة شديدة :

ــ ولكن خوفى على مصير زوجى ، يفوق خوفى منكم ألف مرةَ .

لم تكد تنتهى من حديثها ، حتى بدأ جسدها ينتفض فى عنف ، فمال الضابط نحوها فى إشفاق ، قائلاً :

ــ ما اسم زوجك يا سيِّدتى ؟!

أجابته فى لهفة :

ــ (حاتم الــ ....)

قبل أن تتم عبارتها ، دوى ذلك الانفجار ....

ومع دويه ، حدثت تلك الظاهرة الخارقة ....

وعلى نحو مباغت ...

* * *

غصة كبيرة ، تلك التى ضاق بها حلق (رشدى) ، وهو يقود سيارته ، من مشرحة (زينهم) ، إلى مكتب النائب العام ....

إنها مؤامرة محكمة بحق ...

مؤامرة ، أحكموا آخر خيوطها ، عندما سرقوا جثة (أمين ضياء) من المشرحة ، بهذه الخطة الانتحارية ...

لقد كان (هشام) على حق ...

فى غياب الجثة ، لا يوجد دليل واحد ...

تقرير التشريح الرسمى ، يقول : إن سبب الوفاة هو حادث القطار ...

ولا توجد جثة لنفى هذا ....

والشاهد الوحيد هو الطبيب الشاب ، الذى قام بإعادة تشريح الجثة ، على نحو غير قانونى ....

والحادث أتلف أية أدلة مادية ، قد تتواجد فى القطار .... .

وشهادة (حاتم) ، حتمًا لن يأخذ بها مخلوق واحد ، بل وسيتم بناءً عليها ، التشكيك فى قواه العقلية أيضًا ....

لم تعد هناك وسيلة لكشف الحقيقة ...

أية وسيلة ...

وهذا يعنى أن المتآمرين قد نجحوا ، وتخلَّصوا من خصمهم ، قبل أن يكشف تلك الوثائق ، التى تدينهم ...

وهذا يشعره بالاختناق ....

اختناق شديد ....

لقد تخلَّصوا من كل ما يدينهم ، فى شخص واحد ....

(أمين ضياء) ....

أوقف سيارته ، إلى جانب الطريق ، ودفن وجهه بين كفيه ، وهو يغمغم فى مرارة بلا حدود :

ـ كيف يمكننى تجاوز هذا ؟!... كيف ؟

لم يدر كيف يمكن ان يقاوم تآمرهم ، ويكشف أمرهم !!...

كيف ؟!...

كيف ؟!...

كيف ؟!...

أدار الأمر من كل الوجوه ، وتوقَّف طويلاً عند واقعة سرقة جثة (أمين ضياء) ...

لقد انتهت معه أدلة الإثبات ...

كل الأدلة ...

ولكن لا ....

توقَّف عند نقطة بعينها ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ مازالت هناك الوثائق ... لقد تخلَّصوا من (أمين) ، ولكن ... هل تخلَّصوا من الوثائق التى جمعها أيضًا ؟!..

تراجع فى مقعده ، وعاد يدرس الموقف مرة أخرى ....

(أمين ضياء) توصل إلى شىء ما يدينهم ، ولهذا تخلَّصوا منه ..

فما هو هذا الشىء ؟!!

وما الوثائق التى جمعها ؟!...

نعم ... هذه هى الأسئلة الصحيحة ....

وهذا هو السبيل الأصح ...

البداية ...

أن يبدأ بحثه منذ البداية ...

سيسعى خلف نفس ما سعى إليه (أمين ضياء) .... ويكشف ما كشفه .... ويعرف ما الذى توصَّل إليه ....

هذا هو السبيل الوحيد .... .

اعتدل فى حماس ، عندما بلغ هذه النقطة ، وأدار محرِّك سيَّارته ، وهو يقول فى نبرة جديدة :

ـ فليفعلوا كل ما بوسعهم ... يمكرون ويمكر الله .... والله (سبحانه وتعالى) خير الماكرين .

كان قد بدأ الانطلاق بسيَّارته ، عندما تنامى إلى مسامعه من بعيد ، دوى ذلك الانفجار ....

ثم أعقبته تلك الظاهرة العجيبة ، التى جعلته يضغط فرامل سيارته فى قوة ، وهو يوقفها مرة أخرى إلى جانب الطريق ، وقد اتسعت عيناه ....

عن آخرهما ....

* * *

أنت واثق من هذا ؟! ....

ألقى ذلك المسئول سؤاله ، على رئيس طاقم امنه ، فى توتر ملحوظ ، فشدَّ هذا الاخير قامته ، وقال فى حسم :

ــ تمام الثقة يا سيِّدى .... لقد دمَّرت حقيبة الوثائق بنفسى ، بعد أن وصلتنى ...

تراجع المسئول فى مقعده ، وهو يقول فى عصبية :

ــ كان ينبغى أن تطلعنى عليها أوَّلاً ....

ثم اعتدل فى حركة حادة ، مستطردًا :

ــ وأن يتم تدميرها امامى شخصيًا .

بدت الدهشة على وجه رئيس أمنه ، وهو يقول مرتبكًا :

ــ ولماذا يا سيِّدى ؟!

ضرب المسئول سطح مكتبه بقبضته فى قوة ، وهو يهتف :

ــ حتى أطمئن إلى تدميرها بالفعل .

احتقن وجه رئيس الامن ، وهو يقول :

ــ سيِّدى ... هل تراودك الشكوك بشأنى ؟!

لوَّح المسئول بذراعه كلها ، وهو يهتف :

ــ الشكوك تراودنى ، بشأن كل مخلوق .

اتسعت عينا رئيس الامن ، وهو يقول مصدومًا :

ــ ولكننى مشارك فى كل ما حدث يا سيِّدى ، وأطيع أوامرك فى كل ما تأمر به ، و ...

قاطعه المسئول بإشارة من يده ، ثم أعاد تلك اليد ؛ ليخفى بها وجهه لحظات ، قبل أن يرفعها ، ويرفع عينيه معها إلى رئيس الامن ، قائلاً :

ــ معذرة يا رجل ، ولكنَّ الموقف كله يصيبنى بتوتر لا حدود له .

خفض رئيس الأمن عينيه وصوته ، وهو يغمغم :

ــ اعلم هذا يا سيِّدى ... أعلم هذا .

نهض المسئول من خلف مكتبه ، ودار حوله ؛ ليضع يده على كتف رئيس الأمن ، قائلاً فى توتر ، بذل جهدًا عبثيًا لإخفائه :

ــ أنت تعلم أن تلك الوثائق تعنى نهايتى سياسيًا ، ومعظمها يعنى نهايتك أيضًا ، وما فعلناه لمنع نشرها ، يعنى نهايتنا جنائيًا أيضًا ، وهذا أمر بالغ الخطورة .

لم يجب رئيس الأمن ، وإن ظلَّ يتطلَّع إليه فى حذر ، فتابع المسئول :

ــ كثيرون متورطون معنا فى هذا الامر ، وكل منهم مستعد لدفع الملايين للخروج منه ...

وتوقَّف دفعة واحدة ؛ ليضيف فى شراسة :

ــ ومنهم من سيدفع ملايين أخرى ، بلا تردُّد ؛ لشراء تلك الوثائق ، والاحتفاظ بها .

امتقع وجه رئيس الامن ، وهو يقول :

ــ ما الذى يعنيه قولك هذا يا سيِّدى ؟!

التقط المسئول نفسًا عميقًا ، وربَّت على كتفه ، قائلاً :

ــ يعنى أنه كان من الضرورى أن أرى تلك الوثائق بنفسى ، قبل أن يتم تدميرها ...

ثم أولاه ظهره ، وهو يعود إلى مكتبه ، مكملاً فى صوت حمل كل شك الدنيا :

ــ كان من الضرورى .... جدًا .

ازدرد وجه رئيس أمنه امتقاعًا ، وهو يغمغم :

ــ أقسم أننى قد دمرتها .

ابتسم المسئول ابتسامة أشبه بالذئاب ، وهو يقول :

ــ بالتأكيد .

شعر رئيس الأمن باضطراب شديد ، وهو يتطلَّع إلى ابتسامة ذلك المسئول ، الذى صمت بضع لحظات ، ثم قال فى هدوء عجيب :

ــ ولكن عليك أن تنتبه إلى هذا ، فى المرات القادمة .

انخفض صوت رئيس الامن ، وهو يتمتم :

ــ سأفعل يا سيِّدى .... سأفعل ...

أشار إليه المسئول ، قائلاً فى صرامة :

ــ والآن .... اتركنى وحدى قليلاً .

تراجع رئيس الامن ، وهو يقول :

ــ كما تأمر يا سيِّدى ... كما تأمر .

وما أن غادر رئيس الأمن المكتب ، حتى انعقد حاجبا المسئول فى شدة ، وغمغم بمنتهى المقت :

ـ ومن أدرانى أنك قد فعلت ؟!...

ثم التقط هاتفه الخاص ، وطلب رقماً ، وما أن استمع إلى محدثه ، حتى قال فى صرامة عصبية :

ـ (هشام) .... لدينا مشكلة جديدة .... بوق يرغب فى أن ينطلق لحسابه .... وعلينا أن نخرسه .... وإلى الأبد ....

وأنهى المحادثة ، وعيناه تحملان المقت ...

كل المقت ...

* * *

ظاهرة عجيبة ، تلك التى حدثت عند مقر امن الدولة ، فى ذلك الصباح المبكِّر ....

كان كل شىء عاديًا ، والسماء صافية صحوة ، و ....

وفجأة ، تكوّنت تلك الفقاعة فى السماء ...

فقاعة نصف شفافة ، تكّونت على مسافة متر واحد ، من نافذة حجرة مكتب اللواء (سامى) ، ثم اندفعت منها حزمة من الاشعة فجأة ؛ لتضرب الجدار فى قوة مباغتة ...

ومع دوى الانفجار ، اختفت تلك الفقاعة ....

تمامًا ....

ولقد طار جسد اللواء (سامى) مع الانفجار ، وارتطم بجسد (حاتم) ، وسقط كلاهما أرضاً ، قبل أن ...

يهتف اللواء :

ـ ماذا ....؟!

لم يكتمل هتافه ، مع تألق عجيب داخل ما تبقى من حجرته ، فالتفت إليه مع (حاتم) ....

واتسعت عيونهما معًا ....

فى شدة وذهول ....

عنيفين ....

* * *

8 ــ الذاكـرة ....

فوجئ وزير الداخليـــة فى مكتبـــه ، بحالة من اضطراب غير طبيعى ، جعله يسأل مدير المكتب فى حدة ، وعبر وحدة الاتصال الداخلى :

ــ ماذا يحدث بالضبط ؟!

اندفع إليه مدير مكتبه ، وهو مضطرب بشدة ، وهتف :

ــ هجوم يا سيادة الوزير ، هجوم إرهابى ، على مقر أمن الدولة ، فى مدينة نصر .

ارتفع حاجبا الوزير فى دهشة ، وقال فى لهجة آمرة ، صارمة :

ــ ارسل قوات مكافحة الإرهاب إلى هناك فورًا .

تردَّد مدير مكتبه لحظة ، جعلته يصرخ فيه :

ــ ماذا هناك ؟!! تحرَّك ...

أجابه الرجل فى سرعة واضطراب :

ــ إنه ليس هجومًا تقليديًا يا سيادة الوزير ، وإلا لكان أمن المبنى هناك كفيلاً بصده .

نهض الوزير فى توتر شديد ، متسائلاً :

ــ أهجوم بالدبابات هو ؟!

هزَّ مدير مكتبه رأسه فى قوة ، وهو يهتف :

ــ بل هجوم بقوة مجهولة ... قوة لا يدرك أحد حتى ماهيتها ... قوة اخترقت الجدران المصفَّحة ، وكأنها قالب من الزبد ...

وتراجع الوزير كالمصدوم ، واتسعت عيناه عن آخرهما .... وبشدة ....

لم تكن عيناه وحدهما ما اتسعتا على هذا النحو ، وإنما عينا اللواء (سامى) أيضًا ، وهو يحدِّق ذاهلاً فيما أمامه ....

لقد انفجر جدار مكتبه ، ودفعه الانفجار نحو (حاتم) ، وسقط كلاهما أرضًا ، ثم حدث ما حدث ....

فقَّاعة كبيرة ، تكوَّنت داخل الحجرة ، ثم تلاشت فجأة ، وبرز من وسطها رجل شرس الملامح ، يرتدى حلة خضراء اللون ،

لامعة ، من قطعة واحدة ، ويحمل فى يده شيئًا أشبه بالمسدس ، ولكن تكوينه يختلف تمامًا ....

كان رجال أمن المبنى يعْدون نحو حجرة اللواء (سامى) ، عندما هتف هذا الأخير بكل ذهول :

ــ ما هذا بالضبط ؟!

وفى حركة باردة ، رفع الرجل سلاحه نحوه ، دون أى تبدّل فى ملامحه ، و ...

وأطلق النار ...

كرات عجيبة من الطاقة ، انطلقت من سلاحه ، وأصابت اللواء (سامى) ، فانتفض جسده فى عنف رهيب ، وكأنما أصابته ألف ألف صاعقة ، وانطلقت من حلقه شهقة ، هى مزيج من الدهشة والألم ، قبل أن يتألق جسده كله ، ثم ينهار ، وقد احترقت معظم أجزائه ....

وبنفس البرود ، أدار ذلك الرجل سلاحه نحو (حاتم) ...

وتراجع (حاتم) ، وهو يطلق شهقة محدودة مختنقة ....

ومن أعمق أعماق ذاكرته ، وثب شىء ما ....

شىء جعله يدرك أنه يعرف ذلك الرجل ...

يعرفه جيدًا ...

و ...

فجأة ، اقتحم رجال الأمن الحجرة ...

وفورًا ، أطلقوا النار على ذلك الرجل ....

أطلقوا عشرات الرصاصات ....

وأصابت كلها هدفها ...

ولكن الهدف لم يتحرَّك قيد أنملة ...

بل لم يبد عليه حتى ، أنه قد تأثر بالرصاصات ....

لقد تلاشت كلها ، قبل سنتيمتر واحد من وصولها إليه ، بصوت أشبه بأعواد ثقاب متتالية تشتعل .

وفى برود ، التفت هو إلى رجال الأمن ، وصوَّب إليهم سلاحه ...

وبكل قوته ، صرخ (حاتم) :

ــ ابتعدوا .

صرخ بها ، وهو يزيح جثة اللواء (سامى) المحترقة من فوقه ، ويهبُّ من مكانه ، فى مرونة مدهشة ، لم يتصوَّر هو نفسه أنه يمتلكها ...

وفى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها كرات الطاقة ، نحو رجال الامن ، كان (حاتم) ينقض على ذلك القادم بكل قوته ...

ولقد كانت انقضاضة بالغة العنف بحق ....

انقضاضة جعلت لارتطام جسديهما دويًّا عنيفًا ، أشبه بدوى ارتطام جسمين معدنيين قويين ...

ومع سقوط رجال الأمن ، كان القتال يبدأ ...

انقضاضة (حاتم) ، على الرغم من عنفها ، حركت ذلك الرجل خطوتين فحسب إلى الخلف ....

ثم بدأ هو ينقض ....

بضربة واحدة ، ألقى (حاتم) عبر الحجرة ، ليرتطم بالجدار المقابل فى عنف ، ثم يسقط ارضًا ...

وبنفس البرود العجيب ، رفع ذلك سلاحه نحوه ....

وأطلق كرات الطاقة ....

كان من الطبيعى ، مع هذه السرعة ، أن تصيب تلك الكرات (حاتم) فى مقتل ، إلا أن ما فعله جسده كان عجيبًا بحق ....

لقد وثب من مكانه ، وضرب الجدار بقدمه ، ثم طار منه عبر الحجرة ، إلى الجدار المجاور ، وكأنه يمشى على الجدران ، ثم هبط ارضًا ، وانزلق إلى الجدار المقابل ، قبل أن يدور حول نفسه ، فى مرونة يحسده عليها أمهر رجال أشهر سيرك فى العالم ، وتعلَّق برقبة الرجل من الخلف ، وأدار ذراعيه حولها فى قوة ....

كان إيقاعه مدهشًا ، حتى أن من رأوه من رجال الامن الآخرين ، الذين يعْدون نحو المكان ، من نهاية الممر ، بدا أشبه بخداع بصري ، أو بضرب من ضروب السحر ، ولكن ذلك الرجل ، ذا الثوب الأخضر ، أدار يده خلف ظهره بحركة سريعة ، وانتزع (حاتم) من مكانه ، فى قوة خارقة ، وألقى به عبر الحجرة ، فعبر جسده الباب المفتوح ، وطار لأربعة أمتار فى الممر الطويل ، قبل أن يسقط فى عنف ، أمام رجال الأمن ، الذين توقَّفوا مبهوتين ، وتراجعوا على نحو غريزى ، وهم يصوبون له أسلحتهم ...

وبنفس الهدوء المخيف ، غادر ذلك الرجل الحجرة إلى الممر ، وصوَّب سلاحه العجيب ...

كان كل رجال الامن أمامه ، ولكنه صوَّب سلاحه نحو هدف واحد لاغير ...

(حاتم) ....

ولكن فجأة ، تكررت الظاهرة ...

وبعنف أكثر ...

فرقعة عنيفة دوت فى المكان ، وارتج لها المبنى كله ، والتفت معها ذلك الأخضر فى حدة ، قبل أن يبرز من وسط فقاعة أكبر حجمًا ، رجل مفتول العضلات ، يرتدى زيًا مشابهًا للأوَّل ، ولكنه أزرق اللون ، شديد اللمعان ....

وكان أيضًا يحمل سلاحًا عجيبًا ....

وبكل شراسة الدنيا ، استدار إليه الاخضر ، وأطلق زمجرة وحشية ، لعلها كل ما أطلقه من صوت ، ثم أطلق كرات الطاقة من سلاحه ....

وبدون أن يبتعد أو يتأثر ، أو يحاول حتى تفادى تلك الكرات ، رفع مفتول العضلات سلاحه ، وأطلق منه كرات طاقة أخرى ...

كرات أكبر حجمًا ، وأكثر قوة ...

بكثير ...

وتراجع رجال الامن مذعورين ، أمام ذلك الصراع الرهيب ، وانطلقوا يعْدون مبتعدين ، وهم يطلبون الدعم والعون ....

وعبر الممر ، اصطدمت كرات الطاقة فى عنف ، ودوت فى المكان انفجارات شديدة القوة ، وارتج المبنى كما لم يرتج من قبل ، وتألق الممر كله بضوء رهيب ...

والعجيب أن (حاتم) ، على الرغم من عنف الموقف ، نهض فى هدوء ، يتابع ما يحدث ، وكأنه أمر اعتاد رؤيته منذ زمن ...

أو فى زمن مغاير للزمن ...

ومن عينيه ، كانت تطلُّ لمحة ثقة ...

ثقة كبيرة ....

وعجيبة ...

وفى مكتب رئيس جهاز امن الدولة ، كان الكل شديد الاضطراب ، وكان هو يهتف ، فى عصبية شديدة :

ـ ماذا يحدث هنا بالضبط ؟!

اجابه احد قياداته ، فى توتر واضح :

ـ شىء ما يهاجمنا ... ليس شيئًا تقليديًا بالتأكيد ، فما وصفه رجال الامن ، يبدو أشبه بفيلم حرب الكواكب .

صاح فيه رئيس الجهاز فى غضب :

ـ هراء .... رجالنا لم يفهموا سلاحًا جديدًا ، ابتكره الإرهابيون ، ولكن علينا مواجهتهم ، مهما كان ما يستخدمونه من سلاح ..

قال القيادى بنفس توتره :

ـ أنهم ليسوا حتمًا إرهابيين يا سيِّدى .

صاح به فى غضب :

ـ لقد هاجموا المبنى ، وقتلوا رجالنا ، فكيف تجزم بأنهم ليسوا كذلك ، بهذه السرعة ؟!

أجابه الرجل ، وصوته يرتجف ، من فرط الانفعال :

ـ لأنه من الواضح أن رجالنا اعترضوا طريق هدفهم الاصلى فحسب .

سأله رئيسه ، وقد حل قلقه وفضوله محل غضبه :

ـ وكيف يمكنك الجزم ؟!

هزَّ القيادى رأسه ، قائلاً :

ـ لأنهم الآن يتقاتلون فيما بينهم .

تراجع رئيس الجهاز فى دهشة ، فى حين اكمل القيادى ، بكل توتر الدنيا :

ـ إننا لسنا الهدف ... بل ساحة المعركة فحسب .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان الضوء المبهر فى الممر ينقشع ، ليكشف ذلك الأخضر الشرس ، الذى سقط ارضًا جثة هامدة ، دون ان تفقد ملامحه برودها ، فى حين تقدَّم الازرق مفتول العضلات من (حاتم) ، وهو يسأله ، فى مزيج من القلق والاحترام والتوقير :

ـ ألنت بخير ؟...

وهنا ... وفى لحظة واحدة ، استعاد (حاتم) ذاكرته .... كل ذاكرته ..

* * *

كل شيء كان يسير على خير ما يرام ...

السيارات الصاروخية تنطلق ، عبر الشوارع الواسعة ، والجسور الهوائية المعلّقة ، وفى نظام وانسيابية واضحين ، و ....

وفجأة ، انحرفت تلك السيارة ....

كانت هذه أوّل مرة ، تتجاوز فيها إحدى السيارات خطوط السير ، منذ عدة عقود ...

وانطلقت نحوه مباشرة ...

ومن داخلها ، بدا وجه قائدها فى وضوح ...

وجه وحشى ....

بارد ....

قاس ....

جامد ....

وجه يحمل انطباعًا وأحدًا ....

الموت ...

وأدرك هو الامر على الفور ....

أدرك أن قائد تلك السيارة يستهدفه ...

مباشرة ....

وفى حركة سريعة ، وثب جانبًا ، متفاديًا اندفاعة السيارة القوية ، وألقى نفسه ارضًا ، وهو يستل مسدس الطاقة من حزامه ....

وبلا تردُّد .... أطلقه ...

أصابت كرات طاقته تلك السيارة مباشرة ، ودوى انفجار عنيف ، لم يعرف ذلك الزمن مثله ، منذ فترة طويلة ....

ولكن سيارة ثانية انحرفت نحوه ....

وثالثة ....

ورابعة ....

كان من الواضح أنها مؤامرة لاغتيالة ....

مؤامرة لإيقاف برنامجه الثورى الإصلاحى ....

وعلى الرغم من مهارته وخبراته ، وتلك التدريبات الطويلة التى تلقّاها ، لم يكن باستطاعته أبدًا ، مواجهة ثلاث سيارات ، فى آن واحد ....

كان هناك وجه مماثل ، يقود كلاً منها ...

وجه له نفس السمات ....

الوحشية .... والبرود .... والقسوة .... والجمود ....

وكلهم كانت لهم الملامح نفسها ....

وبمنتهى الدقة ....

لم يكن هناك مكان ، يمكنه أن يذهب إليه ، وتلك السيارات الصاروخية الثلاث تنقض عليه ، من ثلاث زوايا مختلفة ، فى حصار محكم ، و ....

وفجأة ، دوى انفجار ....

وثان ...

انفجرت سيارتان ، بكرتى طاقة ، أتتا من قريب ....

وبقيت سيارة واحدة ، واصلت انطلاقها نحوه فى قوة ....

وبوثبة مدهشة ، أطلق هو مسدسه ...

ودوى الانفجار الرابع والاخير ....

ودوت معه صفارات الإنذار القوية ....

« أأنت بخير ؟!.... »

هتف بها حارسه الخاص فى لهفة ، وهو يندفع مع رجاله نحوه ، لاهثاً فى انفعال ، فنهض هو ، وتطلّع فى توتر إلى السيارات الأربع المحترقة ، وشاهد حوامات الإطفاء والاسعاف ، وهى تنطلق فى سماء المكان ، وتهبط حول النيران ، وحارسه الخاص يضيف بنفس الانفعال :

ـ أخبرتك أن خروجك منفردًا ، أمر فى غاية الخطورة .

نظر إليه لحظة فى خواء ، قبل أن يعيد مسدسه إلى غمده ، قائلاً :

ـ كيف يمكننى إجراء الإصلاحات المنشودة ، دون أن أرصد أحوال (مصر) عن قرب .

هزَّ حارسه الخاص رأسه فى عصبية ، وهو يقول :

ـ يمكننا أن ننقل لك الصورة كاملة ، وثلاثية الأبعاد ، بحيث تشعر وكأنك تسير وسط طرقات المدينة بالفعل .



انعقد حاجباه ، وهو يجيب فى صرامة :

ـ خطأ .... لقد فشلت النظم السابقة ، وانتشر فيها الفساد ؛ لأن حكامها اكتفــوا بالتقارير المكتوبة والمصوَّرة ، وعزلوا أنفسهم عن هذا الشعب تمامًا .

قال حارسه ، وهو يقوده إلى سيارة الرياسة ، حاملاً مسدسه لحمايته ، من أى هجوم إضافى محتمل :

ـ ولكنهم عاشوا طويلاً .

أجابه فى صرامة ، وهو يدس جسده داخل السيارة .

ـ لو أنك تسمى هذه حياة .

ركب حارسه الخاص إلى جواره ، وهو يقول فى حزم :

ـ مازال خروجك منفردًا بالغ الخطورة ، على الرغم من كل نظم التنكُّر التكنولوجية ؛ فمن الواضح أن للمستنسخين جاسوس نشط ، فى مقر الرياسة .

قال فى حزم :

ـ هذا مؤكَّد .

وصمت لحظات مفكرًا ، قبل أن يعتدل ، مضيفاً فى حزم :

ـ ولكن لدى خطة مدهشة ؛ لكشف ذلك الجاسوس .

التفت إليه حارسه الخاص ، متسائلاً فى لهفة :

ـ وما هى ؟!

ظل السؤال يدوى فى رأسه ، وهو يزيح الأنقاض عن جسده فى سهولة ، وينهض فى زمننا الحاضر ، ويستعيد لهجته القيادية الحازمة ، قائلاً :

ـ هل كشفتم أمره ؟!

أجابه بابتسامة باهتة :

ـ هو كشف نفسه ، عندما أجــرى اتصاله بالمستنسخين ؛ ليخبرهم أين أخفيناك .

ثم مال نحوه ، مضيفًا فى حزم متوتر :

ـ ولكن ينبغى أن نعود إلى زمننا فورًا ... لن نفسد هذا الزمن ، عندما يدركون ماهيتنا .

كان وقع أقدام رجال أمن الدولة يتصاعد ، وهم يعدون نحو المكان بأعداد غفيرة ، فشدَّ هو قامته ، وقال :

ـ نعم .... دعنا نعود .

أمسك حارسه الخاص بيده ، وضغط زرًا كبيرًا فى حزامه ....

ودوت فى مبنى أمن الدولة فرقعة قوية ....

وارتج المبنى كله مرة أخرى ...

وعندما وصل فريق أمن الدولة بأسلحته ، إلى حجرة اللواء (سامى) المدمَّرة ، كانت جثة هذا الأخير شبه المحترقة ترقد هناك ....

وحدها ...

فلم يكن هناك أثر لـ (حاتم) أو حارسه الخاص ...

لم يكن هناك أدنى أثر ....

على الإطلاق ....

* * *

ارتجف صوت زوجة (حاتم) مع جسدها فى قوة ، وارتبكت الكلمات على لسانها ، وهى تقول فى ارتياع :

ـ ما حدث لم يكن طبيعيًا .... لم يكن كذلك أبدًا .

احتضنتها أمها ، فى محاولة لتهدئة روعها ، وهى تقول ملتاعة :

ـ اهدئى يا بنيتى ... اهدئى ... أخبرينى كل ما حدث .

راحت زوجة (حاتم) تلوّح بذراعيها ، هاتفة :

ـ شىء لا يمكننى أن أصفه .... فقاعات عجيبة ، تتكون فى الهواء ، وانفجارات ، واضطراب عنيف فى مقر أمن الدولة .... هناك شىء غير طبيعى حدث هناك يا أمى ... شىء لا يمكننى وصفه ؛ لأننى لم أر مثله من قبل قط .

تسرَّب الخوف إلى أمها ، وهى تغمغم :

ـ أهو سلاح جديد ؟!

« هذا لا يهم .... »

ألقى (هشام حمزة) العبارة ، فى اللحظة نفسها ، وهو يتحدَّث إلى ذلك المسئول عبر هاتفه المحمول ، قبل أن يتابع فى حزم :

ـ أيًا كانت ماهيّة ما حدث ، فهو فى صالحنا تمامًا .

سأله المسئول فى توتر :

ـ وكيف هذا ؟!... ألم تتول الأمور هناك ... فى المشرحة ؟!

أجابه (هشام) فى ثقة :

ـ أطمئن يا سيِّدى ... كل شىء يسير وفقاً للخطة .... جثة (أمين ضياء) احترقت بالكامل ، وتم دفنها وسط الجير الحى ، ولن يتبقى منها سنتيمتر واحد صالح للفحص ، أما ذلك الطبيب الشرعى الشاب هناك ، فلست أظنه سيجرؤ على البوح بحرف واحد مما لديه ، ولكن الأهم ، هو أن ما حدث فى مقر مدينة نصر ، سيصرف الأنظار عن قضية (أمين ضياء) كلها .

صمت المسئول لحظة ، ثم قال فى توتر :

ـ لا يمكنك الاعتماد على هذا ... عندما تهدأ الأمور ، سيعاودون بحث الامر ، و(رشدى) هذا لن يتوقف عن نبشه ... ملفه يؤكِّد أنه عنيد ومثابر إلى أقصى حد .

أجابه (هشام) فى استهتار :

ـ وماذا سيكون بيده ليفعل ؟!

قال المسئول فى حدة :

ـ يمكنه أن يلجأ إلى الصحافة ، وأنت تعلم مثلى أن هذا سيثير قضية صحفية طويلة ، وخاصة بين صحف المعارضة ، وهذا قد يغرس الشك ، فى قلوب بعض المسئولين القياديين .

انعقد حاجبا (هشام) ، وهو يدرس هذا الاحتمال ، الذى بدا له منطقيًا وممكنًا ، فقال فى حزم :

ـ لكى تكتمل الخطة إذن ، لابد من اتخاذ خطوة ، تحسم كل الامور ، وتغلق ملف (أمين ضياء) نهائيًا .

سأله المسئول فى لهفة :

ـ وما هى ؟!

ازداد انعقاد حاجبى (هشام) ، واكتسب صوته الصارم رنة قاسية ، وهو يجيب :

ـ القضاء على (رشدى عبد الهادى) .... فورًا.

وارتجف المسئول ....

بقوة .

* * *

9 – النفـــق ....

« لماذا كل هذا ؟!... »

نطقها الحارس الخاص لـــ (حاتم) فى توتر ، وهو يتطلَّع فى قلق إلى هذا الأخير ، الذى جلس على مقعد هوائى بسيط ، وقد ارتكن بوجهه على كفيه فى أسى، ولقد رفع رأسه إلى حارسه الخاص ، استجابة للسؤال ، وهو يكررِّه فى استنكار حزين :

– لماذا كل هذا ؟!... تسألنى لماذا كل هذا ؟!... بل أخبرنى أنت لمَ كان كل هذا ؟!... لماذا انتزعتمونى من زمنى ، وعدتم بى نصف قرن إلى الوراء ، متخلياً عن مهامى ، وعن خطتى الإصلاحية الجديدة ، التى مات الآلاف فى سبيلها ؟!... لماذا ؟!

أجابه حارسه الخاص فى توتر :

– لأنها كانت الوسيلة الوحيدة لأنقاذك يا سيِّدى ... الحرس القديم ، المعارض للإصلاح ، يحاول اغتيالك بشتى الطرق ، منذ توليت منصبك هذا ، وكنا نكشف أمرهم ، ونحبط مخططاتهم طوال الوقت ، حتى توصلوا إلى استنساخ جيش صغير من بشر ،

تم امدادهم بهندسة وراثية ، بحيث يفقدون المشاعر والعواطف تمامًا ، ويطيعون الاوامر طاعة عمياء ، ويمتلكون فى الوقت ذاته قدرات خرافية ... ولقد كادوا بوساطة جيشهم هذا ، ينجحون فى اغتيالك مرتين ، ولما كنا نحتاج إلى تركيزنا بالكامل ، حتى نكشف أمرهم ، ونقضى على خطتهم ، فقد رأينا أن حمايتك تفسد هذا التركيز ، وأن أفضل وسيلة ، لـتأمين الحماية لك ، هى إبعادك عن هنا .

قال فى غضب :

– إلى زمن ماضٍ .

هزَّ الحارس الخاص رأسه ، وقال :

– لم تكن هذه هى الخطة فى البداية ، ولكن أستاذك ومستشارك رأى أنك ، بعنادك وإصرارك ، لن تتوقَّف عن ممارسة مهامك الرياسية أبدًا ، حتى ولو أيقنت من أنك تواجه خطة لاغتيالك ، مما سيكشف أمرك ، ويحبط كل خطتنا ، ولهذا كان اقتراحه باستخدام تقنية نفق الزمن ، فى نقلك إلى زمن ماض ، لا يمكنهم الوصول إليك فيه ، حتى نتم عملنا .

سأله فى حيرة :

ـ ولكننى لم أكن أذكر شيئًا عن زمنى الفعلى .

أجابه حارسه الخاص فى اهتمام ، وقد لاحظ تغيُّر انفعاله :

ـ محو ذاكرتك مؤقتاً ، كان وسيلة حتمية لحمايتك ، فمنذ أن استقرت تكنولوجيا السفر عبر الزمن ، وهم يراقبون التاريخ مثلنا ، ولو أنك ، فى الزمن الماضى ، قد قمت بتصرُّف ما ، يشف عن هويتك ، وسجل التاريخ هذا ، ولو فى صفحة حوادث ، ولو نشرت صورتك مرة واحدة ، كانوا سيكشفون الأمر ، ويرسلون من يسعى للقضاء عليك .

بدا من الواضح أن (حاتم) يدرس الامر فى ذهنه ، وأنه يشرحه لنفسه ، وهو يغمغم :

ـ لهذا تم تزوير بطاقة الرقم القومى ، بتكنولوجيا عصرنا ، ولهذا كنت أرى أعمالهم الهندسية بالغة البساطة ؛ لأننى درستها بالفعل فى المرحلة الأوَّلية

ابتسم حارسه الخاص ، وهو يقول :

ـ ولهذا بدوت لهم دومًا عبقريًا .

بدت علامات تفكير شارد بضع لحظات ، على وجه (حاتم) ، قبل أن يلتفت إليه ، متسائلاً :

ـ كم بقيت هناك ؟!

أشار إليه حارسه الخاص ، مجيبًا :

ـ عشرة أيام ، بمقياس زمننا .

سأله فى اهتمام صارم :

ـ وبمقياس زمانهم ؟!..

صمت حارسه الخاص لحظات ، ثم أجاب فى خفوت ، وكأنما يخشى رد الفعل :

ـ بقيت عامين تقريبًا .

انعقد حاجبا (حاتم) فى شـدة ، والأفكار تتداعى فى ذهنه بسرعة البرق ...

عماه ...

زوجته ...

اللواء (سامى) ...

(هشام حمزة) ...

(رشدى عبد الهادى) ....

وقضية إغتيال (أمين ضياء) ....

و ....

« أريد أن أعود ... »

نطقها فى حسم صارم ، وبلهجة آمرة قوية ، وهو ينهض من مقعده ، فارتجف حارسه الخاص ، على الرغم منه ، وهو يقول :

ـ تعود ؟!.... إلى أين ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ إلى الزمن الذى وضعتمونى فيه .

تراجع حارسه الخاص ، فى دهشة كبيرة ، وهو يقول :

ـ ولماذا ؟!

أجابه بمنتهى الحزم :

ـ هناك أمور ، تحتاج إلى تعديل .

بدا حارسه الخاص مذعورًا ، وهو يقول :

ـ لا يا سيِّدى .... لا .... تعديل الزمن محظور تمامًا ، وبالغ الخطورة أيضًا ... ألم تدرس فى طفولتك ما يسمى بتأثير

الفراشة ؟!.... اننا لو عدلنا لمحة واحدة من الماضى ، لاختلف حاضرنا كله ، وربما انهار أيضًا .

قال (حاتم) فى صرامة :

ـ ولكننا قمنا بهذا التعديل بالفعل ، عندما اعدتمونى لأحيا فى الماضى .

لوَّح بذراعه كلها ، هاتفًا :

ـ هذا لم يكن جزءًا من التاريخ ، ولكنك لا تستطيع منع اغتيال (أمين ضياء) مثلاً ؛ لأن اغتياله كان شرارة التغيير ، الذى أوصلك إلى خطتك الإصلاحية الشاملة .

انعقد حاجبا (حاتم) ، وهو يفكِّر فى عمق ، قبل أن يغمغم :

ـ ولكننى أظن أننا قد تدخلنا فى التاريخ بالفعل .

سأله حارسه الخاص فى دهشة :

ـ وكيف ؟!...

ابتسم ، قائلاً :

ـ (رشدى عبد الهادى) كشف المؤامرة ، ولكنه لم يعلن أبدًا ، من أين أتى بأدلة الإدانة الدامغة .

سأله حارسه الخاص ، فى حذر متوتر :

ــ ماذا تعنى يا سيِّدى ؟!..

تجاهل (حاتم) سؤاله تمامًا ، وهو يشد قامته ، متكررًا بلهجة قوية آمرة :

ــ أريد أن أعود ...

وفى هذه المرة ، لم يعترض حارسه الخاص ...

أبدًا ....

* * *

تطلَّع النائب العام إلى وجه (رشدى عبد الهادى) ، فى تشكك واضح ، قبل أن يعتدل ، ويسأله :

ــ أنت ضابط أمن دولة ، أليس كذلك ؟!

أجابه (رشدى) فى توتر واضح :

ــ بلى يا سيِّدى .

سأله النائب العام ، وهو يحاول أن يستشف انفعالاته جيدًا :

ــ لماذا لم تبلغ رؤساءك بشكوكك إذن ؟!

صمت (رشدى) لحظات ، زفر خلالها فى توتر ملحوظ ، قبل أن يجيب :

ــ أشك فى تورُّط بعضهم فى الامر .

ارتفع حاجبا النائب العام ، فى دهشة مستنكرة ، ثم تراجع فى مقعده ، وقضى ما يقرب من دقيقة كاملة ، فى التحديق فى وجه (رشدى) ، قبل أن يقول فى صرامة :

ــ ما تقوله بالغ الخطورة للغاية أيها المقدَّم ... أنت تتحدَّث عن مؤامرة كبرى بكل المقاييس .... مؤامرة تورَّط فيها عدد من كبار مسئولين الدولة ، ولست تملك حتى الأدلة المادية ، التى تؤيد روايتك .

قال (رشدى) ، وتوتره يتصاعد :

ــ لقد قمنا بإعادة تشريح جثة (أمين ضياء) ، و ....

قاطعه النائب العام فى صرامة :

ــ على نحو رسمى ؟!

تراجع (رشدى) فى عصبية ، وهو يجيب :

ــ بل ودِّى .

قال النائب العام ، فى صرامة أكثر :

ـ ألم تدرس قانون الإجراءات أيها المقدَّم ؟!

صمت (رشدى) لحظات ، ثم اندفع قائلاً فى انفعال :

ـ سيِّدى ... أنا أعمل فى أمن الدولة منذ سنوات ، وتقاريرى كلها تؤكِّد أننى ضابط كفء ، ولقد تعلمت أن المؤامرات الكبيرة يصعب فيها الحصول على الأدلة .... لقد نفذوا جريمتهم بلا رحمة ، وحطموا قطاراً كاملاً ، بكل من فيه ؛ فقط لإخفائها ، ثم لم يتورعوا عن سرقة جثة (أمين ضياء) ؛ عندما أوشكت مؤامرتهم أن تنكشف .

قال النائب العام :

ـ وانا تعلمت ، فى نصف قرن ، أن قضية بلا أدلة ، هى قضية فاشلة .

ثم مال نحوه ، مضيفًا :

ـ احصل على الأدلة ، وسنفتح التحقيق فورًا .

وعاد يتراجع فى مقعده ، مكملاً بكل صرامة :

ـ وأمامك أربع وعشرون ساعـــة .... أربع وعشرون ساعة فقط لاغير .

وأسقط فى يد (رشدى) ...

وفى عقله ....

فى أعمق أعماق عقله ....

* * *

لم يدر (رشدى) ماذا يفعل بالضبط ...

كان يقود سيارته بلا هدى ، طوال الساعة الماضية ، منذ غادر مكتب النائب العام ، وذهنه كله مشغول بأمر واحد ....

كيف يمكنه أن يحصل على الأدلة ؟!...

كيف ؟!...

كيف ؟!...

كيف ؟!...

بكل المقاييس ، كان هذا مستحيلاً تمامًا ...

الكبار الذين خططوا لتلك العملية القذرة ، أخفوا كل دليل يمكن أن يدينهم ...

حتى جثة (أمين ضياء) سرقوها ، وما من أدنى شك فى أنهم قد تخلصوا منها تمامًا ، وعلى نحو يؤمنهم مائة فى المائة ...

وذلك الطبيب الشرعى الشاب ، لن ينبس حتمًا ببنت شفة ....

لن يجرؤ أبدًا ، على الاعتراف بأنه قـد أجرى عملية تشريح غير رسمية ...

وحتى لو اعترف ، فمن سيصدقه ، دون دليل ؟!...

من ؟!...

شعر بغصة مؤلمة فى حلقه ، مع وصوله إلى طريق مسدود ؛ فمن المستحيل أن يحصل ، ولو على دليل واحد ، خلال تلك المهلة ...

ولا حتى خلال عمره كله ....

لقد ارتكبوا جريمتهم ، واغتالوا (أمين ضياء) ، وسيفلتون من العدالة ....

ويا لها من مأساة !...

ركاب قطار كامل ، راحوا ضحية عملية الاغتيال ، دونما ذنب جنوه ...

رجــال ، وشباب ، ونســـاء ، وشيوخ ، وأطفال ، كلهم لقوا حتفهم ، فقط إخفاء جريمة اغتيال شخص واحد ...

ومرتكبو الجريمة سيفلتون ....

هذا هو المستحيل بعينه ...

فرك وجهه بكفه فى عصبية يائسة ، وهتف بلا وعى ....

ـ لماذا أخبرتنى يا (حاتم) ؟!... لماذا ؟!...

وعلى الرغم منه ، انحدرت من عينيه دمعة ، وهو يتمتم :

ـ كنت سأواصل حياتى فى هدوء ، لو لم أعلم ، أما الآن ، فكيف سيغمض لى جفن ، وصرخات مئات الضحايا ، تطالبنى كل يوم بالثأر لأرواحها المهدرة ، كيف ؟!...

واصل طريقه بلا هدى ، غير منتبه إلى تلك السيارة رباعية الدفع ، والتى ظلت تتبعه لربع ساعة كاملة ، حتى بلغ تلك المنطقة شبه المقفرة ، فالتقط قائدها هاتفه المحمول ، وقال فى حزم :

ـ الصيد بلغ نقطة مثالية .

أجابه صوت (هشام حمزة) فى صرامة قاسية آمرة :

ـ نفذ العملية .... فورًا

أضاء سائق السيارة الرباعية مصباح سيارته ثلاث مرات متتالية ، فظهرت من خلفه سيارة ضخمة ، زادت من سرعتها لتتجاوزه ، ثم انطلقت مباشرة نحو سيارة (رشدى) ...

كان هو قد انتبه إلى إضاءة مصابيح السيارة ، وشاهد تلك الضخمة فى مرآة سيارته ، وأدرك ما يحدث ، وحاول الانحراف بسيارته بعيداً ، ولكن تلك السيارة الضخمة كانت تندفع على نحو جنونى ، لم يمهله لحظة من الوقت لتفاديها ، وهى تنطلق بكل قوتها وسرعتها ....

نحو سيارته ...

مباشرة ....

* * *

استمع وزير الداخلية فى ذهول ، إلى ما يقوله ضباط أمن الدولة ، عما حدث فى المبنى الرئيسى ، فى مدينة (نصر) ، وأدار عينيه فى وجوههم جميعاً ، قبل أن يسألهم :

ـ هل تم تسجيل هذا ؟!...

أومأ أكبرهم برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ كاميرات المراقبة ، المحيطة بالمبنى ، صوَّرت كل شىء بمنتهى الدقة ، يا سيادة الوزير .

طلب الوزير عرض ما التقطته كاميرات المراقبة والحراسة ، وراح يطالعه فى دهشة أكبر ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ كيف يمكننى أن أنقل هذا للقيادة السياسية ؟!...

لم ينبس أحد ببنت شفة ، على الرغم من أن الوزير قد انتظر إجابتهم طويلاً ، ولما أدرك أنهم لا يملكون أية إجابة ، التقط نفسًا عميقًا ، وقال فى حزم :

ـ فليكن .... سنمحو أشرطة المراقبة .

نظر إليه الجميع فى دهشة ، فتابع فى صرامة :

ـ السجلات الرسمية لن تذكر شيئًا مما حدث ، والأضرار سيتم إصلاحها من المصروفات السرية ، والبيان الرسمى سيتحدث عن هجوم إرهابى تم إحباطه .

تساءل أحد القيادات فى تردُّد حذر :

ـ وماذا عن منفذى الهجوم ؟

تعلّقت كل العيون بالوزير ، الـذى انعقد حاجباه فى صرامة صامتة بضع لحظات ، قبل أن يقول فى خشونة :

ـ سيتم تقديمهم للعدالة بالطبع .

وتبادل الجميع نظرة صامتة متوترة ...

ولم ينطق أحدهم بحرف واحد ...

قــط ...

* * *

النجاة من هذا الموقف العصيب ، كان ضربًا من المستحيل ...

الطريق ضيق ...

والسيارة الضخمة تنطلق بكل قوتها وسرعتها ...

ولا يوجد سبيل للفرار ...

أى سبيل ....

ولوهلة ، تصوّر (رشدى) أنه هالك لا محالة ...

وكرد فعل غريزى ، أغلق عينيه ...

وسمع صوت الارتطام القوى ، بدويه العنيف ...

وانتفض جسده كله ...

انتفض بمنتهى الدهشة ؛ لأنه لم يشعر بذلك الارتطام أبدًا ....

ولهذا بالتحديد ، فتح عينيه ....

فى البـدايـة ، فتحهما فى حــذر ، إلا أنهما باغتتاه باتساع مندهش ، وهو يحدّق فيما نقلته إليه مرآة سيارته الجانبية ، قبل أن يلتفت لينظر إليه مباشرة ، وقد استحالت دهشته ذهولاً ....

كانت تلك السيارة الضخمة منسحقة تمامًا ، كما لو أن صخرة المقطم قد سقطت فوقها مباشرة ، ثم ارتدت إلى موضعها ....

وكانت النيران تشتعل فى بقاياها المسحوقة ....

لم تكن نيرانًا قوية ، وإنما هى بقع منتشرة من النيران ، وسط البقايا المسحوقة ...

وعند نهاية الطريق ، كانت السيارة رباعية الدفع تتراجع فى سرعة ، محاولة الفرار من خطر ما ..

وكان هناك شخص ما ، يسير فى الطريق فى هدوء ، مرتديًا زيًا لامعًا ، من قطعة واحدة ، ويحمل سلاحًا عجيبًا ، يصوبه نحو السيارة ، التى يحاول قائدها الفرار فى ارتياع ...

وبنفس الهدوء ، صوَّب ذلك الشخص سلاحه إلى السيارة ، التى انطلقت مبتعدة بأقصى سرعتها ...

وضغط زنادًا ما ....

واتسعت عينا (رشدى) ، وقد بلغ ذهوله مبلغه ....

فمن ذلك السلاح ، خرجت كـرة مــن الطاقة ، شقَّت طريقها نحو السيارة رباعية الدفــع ، فى سرعــة خرافية ، حتى لحقت بهـا ....

ودوى صوت ارتطام عنيف آخر ...

وأمام عينى (رشدى) الذاهلتين ، طارت السيارة رباعية الدفع فى الهواء ، وارتفعت عن الأرض قرابة الأمتار الثلاثة ، ثم هوت منسحقة براكبها ....

وعلى الرغم مــن عنــف الموقف ، توقَّف صاحب الزى اللامع فى هدوء ، يراقب ألســنة النيــران المحــدودة ، التى اندلعت من حطام السيارة المسحوقة ، ثم التفــت إلى حيث سيارة (رشدى) ...

وبحركة غريزية ، وبمنتهى التوتر ، انتزع (رشدى) نفسه من ذهوله ، واستل مسدسه ، وصوَّبه نحو صاحب الزى اللامع ، وهو يهتف :

ــ لن يكونَ دمى رخيصًا كدمائهما .

كان ذلك الشخص يسير نحوه فى هدوء ، وقد خفض ذراعه بامتداد جسده ، على نحو يوحى بأنه لا ينوى استخدام سلاحه على الإطلاق ...

وكانت النيران كلها تأتى من خلفه ، وتحجب معظم ملامحه ...

وعلى الرغم من هذا ، فقد بدا مألوفًا ....

وبكل توتر الموقف ، صوَّب (رشدى) مسدسه نحو القادم ، وهو يهتف فى عصبية ، حاول عبثًا أن يجعلها صارمة :

ــ أفصح عن هويتك يا هذا .

واصل ذلك الشخص سيره ، دون ان يجيب ، فانتفض جسد (رشدى) من فرط الانفعال ، وهو يصرخ :

ــ قلت : أفصح عن هويتك .

آتاه صوت مألوف للغاية ، يقول :

ـ عجبًا !! .... ألم تتعرفنى بعد ؟!

شعر (رشدى) وكأن لطمة قوية قد أصابته فى صدره ، فانتفض فى عنف ، وعادت عيناه تتسعان ، وهو يقول فى انفعال :

ـ مستحيل !

دخل ذلك الشخص منطقة الضوء ، وابتسم ، قائلاً :

ـ لا يوجد مستحيل أيها المقدَّم .

حدَّق (رشدى) فى وجهه بذهول ، مغمغمًا :

ـ (حاتم) ؟!... كيف فعلت هذا ؟!

رفع (حاتم) إليه يده ، بعلبة من البلاستيك ، تحوى عددًا من الأسطوانات المدمجة التقليدية ، وهو يقول بنفس الابتسامة :

ـ يمكنك أن تقول : إننى قد عدت خصيصاً ؛ لأعطيك هذا .

تراجع (رشدى) خشية ان يمس تلك العلبة ، وهو يغمغم فى عصبية :

ـ وما هذا ؟!..

أجابه (حاتم) ، فى هدوء حاسم :

ـ الدليل ...

وعاد جسد (رشدى) ينتفض ...

وبمنتهى القوة .

* * *

10 ـ ختـــام ..

لدقيقة كاملة تقريبًا ، جلس (رشدى) يحدِّق فى وجه (حاتم) ، الذى ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

ـ ما الذى لم تفهمه بالضبط ؟!...

هزَّ (رشدى) رأسه ، وتطلَّع إلى ما حوله فى توتر ، قبل أن يقول ، فى عصبية عجز عن كتمانها :

ـ كل شىء تقريبًا .

عقد الحارس الخاص لـ (حاتم) حاجبيه دون تعليق ، فى حين ابتسم هذا الأخير ، وهو يقول :

ـ فلنبدأ بأكبر شىء .

لم يكد (رشدى) يسمع السؤال ، حتى اندفع يقول فى عصبية :

ـ أين نحن بالضبط ؟!..

أجابه (حاتم) فى هدوء :

ـ داخـــل فقــاعة مكانيـــة ... شىء ما ، يفوق تكنولوجيا عصرك بنصف قرن ، وهو منطقة بين الزمان والمكان ، يستحيل رصدها ، أو معرفتها .

فغر (رشدى) فاه ، وهو يقول :

ـ تفوق عصرى بنصف قرن ؟!..

أومأ (حاتم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا أمر يطول شرحه يا صديقى ، ولكن أعدك بأن يستوعبه أحفادك فى يسر .... المهم الآن أنك تمتلك كل ما يكفيك ، لتفجير أكبر قنبلة فى هذا الزمن ... تسجيلات حية بالصوت والصورة ، لاتفاقيات المسئول الكبير ، الذى دبَّر حادث القطار ؛ لاغتيال (أمين ضياء) ، وكل ما يثبت تورُّط عدد من القيادات الأمنية فى هذا ، وعلى رأسهم (هشام حمزة) .... باختصار يا صديقى ، ما لديك يكفى ، لكى يفتح النائب العام ملف أضخم قضية فساد سياسى فى القرن ...

نظر (رشدى) فى دهشة ، إلى الأسطوانات التى يحملها فى يده ، فغمغم الحارس الخاص ، فى صوت أشبه بالزمجرة :

ـ لا يمكنك ان تدرك كم عانينا ، لكى نحصل على أسطوانات بدائية كهذه ، ونظام لتشغيلها .

رفع (رشدى) عينيه إليه بنظرة حادة ، ثم قال فى عصبية :

ـ كلها تسجيلات غير قانونية .... لم تحصل على موافقة النيابة ، وهذا يسقطها كدليل .

ابتسم (حاتم) ، وهو يقول :

ـ لن يمكنهم إثبات هذا أبدًا ..

حدَّق (رشدى) فى وجهه ، غير مستوعب لما قاله ، فتابع (حاتم) فى هدوء :

ـ نصف القرن ، الذى يفصلنا عن زمنكم ، منحنا تكنولوجيا ، يصعب على عقولكم حتى استيعاب نظرياتها ، ولكن ثق انك ستجد ، فى المستندات الرسمية ، ما يثبت حصولك على موافقة النيابة العامة ، على إجراء هذه التسجيلات ، وستجد من رجالها من تحوى ذاكرته ، بوسيلة ما ، أنك قد التقيت به من قبل ، وحصلت منه على الموافقة ..

بدا (رشدى) مبهورًا ، وهو يقول :

ـ ولكن كيف ؟!...

زمجر الحارس الخاص مرة أخرى ، وتمتم فى خشونة :

ـ اخبرك أنه سيصعب عليك استيعاب هذا .

نقل (رشدى) بصره بينهما فى دهشة بالغة ، قبل أن يغمغم :

ـ لست واثقًا .

نهض (حاتم) وهو يقاطعه فى حزم :

ـ بل كن واثقًا .

ثم وضع يده على كتفه ، وابتسم ، وهو يكمل :

ـ واستعد لنيل شرف الانتصار .... يا سيادة الوزير .

وحتى فى تلك اللحظة ، لم يستوعب (رشدى) ....

أبـدًا ....

* * *

ارتجف جسد (هشام حمزة) ارتجافة واضحة ، وهو يقف أمام ذلك المسئول الكبير ، مغمغمًا :

ـ لسـت أدرى كيـف حدث هذا يا سيِّدى ... لقد انسحقت السيارتان ، اللتـان كـان مـن المفتـرض أن تسحقا (رشدى عبد الهادى) ، وكل خبراء الوزارة لم يستوعبوا حتى كيف حدث هذا ؟!..

هتف به المسئول الكبير فى حدة :

ــ هل جننت ؟!

انتفض جسد (هشام) أكثر ، وهو يقول :

ــ أقسم لك أن هذا ما حدث ، ولقد ....

قاطعه المسئول الكبير ، فى حدة أكثر :

ــ هل جننت ، حتى تأتى إلى مكتبى مباشرة ؟!... ألم يكن من لمفترض ألا يعلم مخلوق واحد ، بالعلاقة التى تربطنى بك ؟!

حدَّق (هشام) فى وجهه بكل الدهشة ، وهو يقول مستنكرًا :

ــ اهذا كل ما يقلقك ؟!..

صرخ فيه المسئول الكبير :

ــ غادر مكتبى فورًا .... عد إلى مكتبك ، قبل أن ....

قاطعه هذه المرة رئيس طاقم أمنه ، وهو يدخل مكتبه ، فى وتر بالغ ، قائلاً بصوت مرتجف :

ــ سيِّدى .... النائب العام شخصيًا هنا .

التفت إليه (هشام) بكل الذعر ، فى حين حان دور المسئول بير ، لينتفض جسده فى عنف ، وتتسع عيناه عن آخرهما ، قائلاً :

ــ شخصيًا ؟!..

أومأ رئيس طاقم الحراسة برأســه إيجابًا ، فسأله المسئول الكبير ، وهو يسقط جالساً على مقعده ، وقد شحب صوته بشدة :

ــ وماذا يريد ؟!...

أجابه رئيس طاقم أمنه ، فى صوت مبحوح :

ــ مقابلتك فورًا يا سيِّدى .

أشار (هشام) بيده ، قائلاً :

ــ سأعود إلى مكتبى ، و ...

قاطعه المسئول الكبير فى حدة :

ــ ابق هنا .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، فى محاولة لتهدئة أعصابه الثائرة ، قبل أن يشير إلى رئيس طاقم حراسته ، قائلاً فى توتر :

ــ لا يجوز أن ينتظر النائب العام فى الخارج .... دعه يدخل فورًا أيها الأحمق .

تراجع رئيس طاقم حراسته فى سرعة ، ولم تمض دقيقة واحدة ، أو ربما أقل ، حتى دخل النائب العام شخصيًا ، وبصحبته (رشدى عبد الهادى) ، الذى ما أن لمح (هشام) حتى قال مبتسمًا :

ـ (هشام حمزة) أيضًا .... هذا سيوفر الكثير من الوقت .

امتقع وجه (هشام) ، وحملته ساقاه فى صعوبة ، فى حين ذل المسئول الكبير أقصى طاقته ، ليغمغم فى توتر بالغ :

ـ لا يمكننى فى الواقع فهم سبب الزيارة الكريمة .

أشار إليه النائب العام ، قائلاً :

ـ الواقع أنها زيارة غير مألوفة ، ولهذا قمت بها بنفسى ، عد استئذان السيد رئيس الجمهورية بالطبع .

امتقع وجه المسئول الكبير ، وشحب صوته بشدة ، وهو يسأل :

ـ ولماذا كل هذا ؟!...

شد النائب العام قامته ، وقال فى حزم صارم :

ـ بكل الأسف ، أنت متهم بتدبير حادث القطار الاخير ، كجزء ن مؤامرة اغتيال زعيم المعارضة (أمين ضياء) .

صرخ المسئول الكبير :

ـ كذب .

أكمل النائب العام ، بنفس الصرامة الحازمة ، وكأنه لم يسمعه :

ـ ولدينا كل التسجيلات ، بالصوت والصورة ، التى تثبت المؤامرة ، وأنها تمت بناءً على اوامرك الشخصية .

ردَّد المسئول الكبير ، فى صوت ، خفف انهياره من ارتفاعه :

ـ كذب .

تابع النائب العام بنفس اللهجة :

ـ وكلها تسجيلات قانونية ، تمت بعلم ومعرفة النيابة العامة .

بدا المسئول الكبير منهاراً بضع لحظات ، قبل أن يهتف فجأة :

ـ ولكن لا يمكنك اعتقالى بهذا الأسلوب ، هناك إجراءات خاصة ؛ لاعتقال من فى منصبى هذا .

أجابه (رشدى) هذه المرة ، فى هدوء صارم :

ـ سيادة رئيس الجمهورية أصدر قراراً بإقالتك ، قبل أن نأتى إلى هنا .

ثم التفت إلى (هشام) ، وأضاف :

ــ وهذا ينطبق عليك أيضًا .

انهار المسئول الكبير على مقعده ، ودفن وجهه بين كفيه ، وانفجر باكيًا فى ألم ، فى حين تراجع (هشام حمزة) بضع خطوات ، ثم قال فى حدة مفاجئة :

ــ ليس بهذه السهولة .

ثم استل مسدسه فى سرعة ، و ...

أطلق النار ...

مباشرة ....

* * *

بدموع من الدم ، بكت زوجة (حاتم) ، كما لم تبك من قبل ، وانهمرت دموعها تغرق وجهها كله ، مع صدر أمها ، التى ربَّتت عليها فى حنان مشفق ، قائلة :

ــ من المستحيل أن يكونوا قد اعتقلوه .... البلد مازال به قانون ، ولا يمكن أن ....

قاطعتها زوجته ، وهى تعتدل بحركة حادة ...

ــ أى قانون ؟!... هذا البلد لا قانون له .... الكبار يتحدثون فيه عن القانون ، ولكن القانون الفعلى الوحيد ، الذى يسود الساحة ، هو قانون القوة .... أى شخص يمكن أن يختفى ، إذا ما أرادوا هذا ... وهناك عشرات الوسائل ... أضفاها قانون الطوارئ المطاطى ، الذى يمنحهم الحق فى اعتقال من يشاءون ، وقتما يشاءون ... أمى .... لا قانون لهذا البلد .

نظرت إليها أمها فى فزع ، وتلفّتت حولها فى اضطراب ؛ وكأنها تخشى أن يسمعها أحد ، ثم غمغمت فى توتر :

ــ سيعود ... صدقينى يا بنيتى .... سيعود .

عادت تدفن وجهها فى صدر أمها ، وهى تبكى قائلة :

ــ ليته يفعل ... إننى أحبه حقًّا ... أحبه ، حتى أننى أقسم ألا أضايقه بحرف واحد ، لو عاد إلىَّ .

عقب كلمتها ، سمعت فرقعة قصيرة ، أعقبها صوت باسم ، يقول :

ــ أهذا وعد ؟!...

التفتت مع أمها فى ذعر إلى مصدر الصوت ، وشهقت أمها فى قوة ، فى حين حدَّقت هى فى زوجها ، الذى بدا عجيبًا ، فى زيه

اللامع ، وابتسامته المشرقة ، إلا أن لهفتها جعلتها تطرح كل الدهشة خلف ظهرها ، وتندفع لتلقى نفسها بين ذراعيه ، هاتفة :

ـ (حاتم) .... حمدًا لله ... حمدًا لله .

قبَّلها فى حنان ، وتحسَّس شعرها فى رفق ، هامسًا بابتسامة كبيرة :

ـ أوحشتنى .

دفنت وجهها فى صدره ، وهى تقول فى لهفة :

ـ كدت أموت خوفًا عليك .

غمغم فى أذنها ، دون أن تفارقه ابتسامته :

ـ لا توجد فى هذا الزمن ، شهادة وفاة باسمك .

رفعت رأسها عن صدره ، وهى تسأله فى دهشة :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!..

ابتسم وضمها إليه مرة أخرى ، وهو يهمس فى أذنها :

ـ إنها قصة طويلة ، تحتاج منك إلى الاستيعاب ، ومنحى كل الثقة .

هتفت بكل حبها :

ـ لا حدود لثقتى بك .

وهتفت أمها ، فى نفس الوقت تقريبًا :

ـ كيف دخلت إلى هنا ؟!...

وابتسم هو ...

ولم يجب ...

إطلاقًا ...

* * *

أوَّل من تحرَّك ، كان (رشدى عبد الهادى) ...

لقد استل مسدسه ، ودفع النائب العام جانبًا ، ثم وثب هو إلى الجانب الآخر ... وأطلق النار ....

وانطلقت من حلق (هشام) صرخة ألم ، عندما أصابت رصاصة (رشدى) يده ، وأطاحت بمسدسه ، ووثب (رشدى) نحوه ، ليكتم صرخته بلكمة ، أودعها كل قوته ، وهو يهتف :

ـ وهذه جريمة جديدة .

كانت اللكمة من القوة ، حتى أنها اطاحت بـ (هشام) ، ليسقط فوق مكتب المسئول الكبير ، ويزحف به وبأوراقه ، حتى يسقط على هذا الأخير ، فينقلب مقعده ، ويسقطان معًا أرضًا ....

وفى ثبات ، التفت النائب العام إلى رئيس طاقم حراسة المسئول الكبير ، فشدّ هذا الاخير قامته ، وسحب مسدسه ، وناوله للنائب العام ، وهو يقول فى استسلام بائس :

ـ رهن إشارتك يا سيِّدى ...

اندفع رجال حراسة النائب العام ، داخل حجرة المسئول الكبير ، إثر سماع صوت الرصاصة ، فأشار النائب العام إلى المسئول و(هشام) ، وقال بكل الحزم والصرامة :

ـ بأمر فخامة رئيس الجمهورية ، ألقوا القبض عليهما .

وهنا ، وفى مشهد عجيب مؤسف ، انفجر المسئول الكبير باكيًا ..

فى مرارة ...

وأسف ...

وندم ...

بلا حدود ....

* * *

طالع رئيس الجمهورية ملف القضية كله ، قبل أن يغلقه فى غضب واضح ، وهو يرفع عينيه إلى وزير الداخلية ، قائلاً :

ـ أيحدث كل هذا خلف ظهورنا ؟!

شد وزير الداخلية قامته ، وهو يقول :

ـ كل من تورَّط فى الأمر سيلقى جزاءه يا سيادة الرئيس .

هزَّ الرئيس رأسه فى قوة ، قائلاً فى غضب :

ـ هذا لا يكفى .... تلك المؤامرة تثبت وجود خلل كبير فى المنظومة الأمنية فى (مصر) ، وخلل أكبر فى علاقتها بمؤسسة الرياسة ، وكل هذا يحتاج إلى تعديل كبير فى النظام بأكمله .

غمغم وزير الداخلية فى توتر :

ـ يمكننا أن ...

قاطعه الرئيس فى صرامة :

ـ كلاً ... هذه ليست مهمة وزارة الداخلية .

شد الوزير قامته مـــرة أخـــرى ، فى توتر ملحوظ ، وأطبق شفتيه تمامًا ، فى حين قال الرئيس ، مكملاً حديثه :

ـ هذا امر يخص الأمن القومى لـ (مصر) ، ويحتاج إلى لجنة كبيرة ؛ لدراسة هذه الأوضاع المتردية ، ووضع خطة إصلاحية شاملة لها .

غمغم الوزير :

ـ أنا رهن إشارتك يا فخامة الرئيس .

أشار إليه رئيس الجمهورية ، قائلاً :

ـ أريد هذا المقدَّم .... (رشدى عبد الهادى) .

قال وزير الداخلية ، وتوتره يتزايد :

ـ فورًا يا فخامة الرئيس .

أشار إليه الرئيس مرة أخرى ، وقال فى صرامة شديدة :

ـ وفى طريق خروجك من هنا ، لا تنس ترك استقالتك لدى مدير مكتبى .

امتقع وجه الوزير فى شدة ، وغمغـم :

ـ فورًا يا فخامة الرئيس .... فورًا .

والتقى حاجبا الرئيس ، وهو يتابع مغادرته لمكتبه ...

ولقد أدرك ، عقب هذه الواقعة ، أن الامور تحتاج إلى تغيير ...

وإلى إصلاح ....

إصلاح كبير ...

للغاية ....

* * *

بدت زوجة (حاتم) مبهورة ، وهى تلتصق بزوجها فى شدة وحب ، مغمغمة فى سعادة :

ـ لم أكن أتصوَّر أن مستقبل (مصر) مشرق إلى هذا الحد .

غمغم ، وهو يضمها إليه فى حب :

ـ إنها ليست جنة بعد .

قالت فى خفوت حالم :

ـ ولكنها أجمل كثيراً ، مما كانت عليه فى زمنى .

ابتسم ، وضمها إليه فى حنان أكثر ، وطبع قبلة على جبينها ، وهو يقول فى حب :

ـ ألا تشعرين بالندم ، على أنك قد غادرت زمنك من أجلى ؟!

غمغمت فى حب :

ــ زمنى حيث يوجد من احب .

ابتسم ، وقال مداعبًا :

ــ تاريخ مولدك يعود إلى أكثر من نصف قرن مضى .

ضحكت ، قائلة :

ــ وهل رأيت امرأة فى مثل عمرى ، مازالت تتمتع بالحيوية والشباب ؟!..

غمغم :

ــ العلم يصنع المعجزات .

التصقت به أكثر ، وقبّلت صدره ، قائلة :

ــ والحب يصنع اكثر .

ثم هزّت كتفيها ، مضيفة :

ــ والاعجب أن تاريخ مولد ابنتنا ، سيأتى بعد نصف قرن ، من تاريخ زواجنا .

التفت إليها فى لهفة وسعادة ، فأكملت ، وهى تدفن وجهها فى صدره حياءً :

ــ ماذا تحب تسميتها ؟!

ضمها إليه ، وهو ينظر من نافذة مقر الرئاسة ، إلى شروق شمس المستقبل ، وأجاب فى خفوت :

ــ أمل .

وغرقت فى صدره اكثر ، مع مشرق الشمس ...

شمس الغد .

* * *

تمت بحمد الله

روايات مصرية للجيب

كوكتيل ٢٠٠٠

باقة من القصص
والروايات المصرية
قمة فى التشويق والإثارة

5/1/011

فى هذا الكتاب صفحة

الثمن فى مصر 500
وما يعادله بالدولار الامريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

